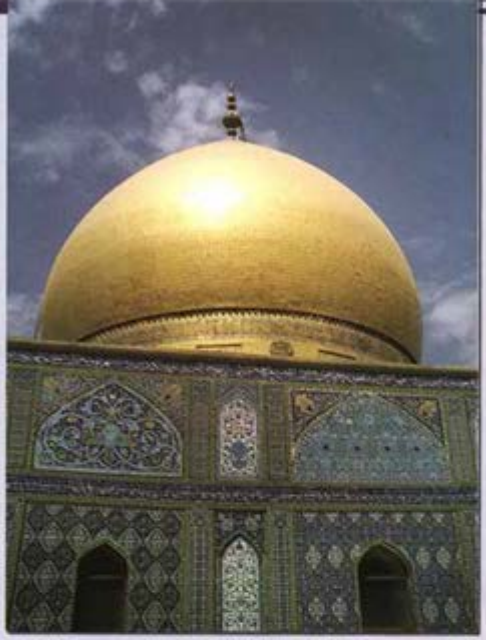

سماحة آية الله العظمى الحاج
السيد محمد تقي المدرسي

الإمام المهدي عليه السلام

قدوة وأسوة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإمام المهدي عليه السلام

قُدوةٌ وأُسوةٌ

سلسلة النبي وأهل بيته قدوة وأسوة - ١٢

الإمام المهدي عليه السلام

قدوة وأسوة

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج
السيد محمد تقي المدرسي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

محفوظة
جميع الحقوق

١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

هوية الكتاب:

* **الكتاب**: الإمام الهادي عليه السلام قدوة وأسوة.
* **المؤلف**: المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.
* **الطبعة**: الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
* **الناشر**: مركز العصر للثقافة والنشر، لبنان، بيروت. (alasrr@gmail.com).
دار كميل للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، طريق المطار، ص.ب: ٧٩٥٧/ ١١ (dar_komail@yahoo.com).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢

الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٣

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والسلام على النبيّين والصديقين، وصلوات الله وبركاته على خاتم المرسلين محمد وآله الهداة الميامين.

أفكر في نفسي أحياناً: هل تكفي أحدَنا صلةً بالأئمة هذه المعرفةُ البسيطةُ بأسمائهم وتواريخ ميلادهم وشهادتهم؟

وهل بمجرد ذلك يُصبح الواحد منا تابعاً للأئمة بحيث يكون مأموماً لهم، وما علامة الائتمام إذاً؟

وإذا مثل الواحد منا أمام رب العزة فسأله: من إمامك أو من هم أئمتك؟ فعرّفهم بأسمائهم دون صفاتهم وأفعالهم فلم يعرفوه بل أنكروه وأنكروا أن يكون من شيعتهم؛ فهل له عذر مقبول عند الله يومئذ؟

أشك في ذلك، وأحتمل أن يكون على موالي أهل البيت الذي يدَّعي الانتماء إليهم، والتشيُّع لهم واتّباع منهجهم أن يعرفهم معرفة تُنْشِئُ بينه وبينهم صلة الائتمام، وهي معرفة تتجاوز كثيراً حدود الأسماء والألقاب، حتى تبلغ -على الأقل- إلى معرفة نهجهم العام في الحياة، وبعض ما أمروا به شيعتهم.

وإذا كان هذا الاحتمال صحيحاً يجب أن يجعل الشيعي في برنامج دراسته معرفة تاريخ الأئمة ولو بصورة موجزة.

على أن الاستزادة من معرفتهم عليهم السلام، ودراسة أقوالهم ترفع درجات الإنسان عند ربه، كما ترفع قيمة أعماله الصالحة.

وما نقدمه خلال الصفحات التالية بضاعة مزجاة إلى أئمة الهدى، أرجو أن يتقبلها الله قبولاً حسناً بفضله ومنّه.

وإذا وفّقنا الله لإكمال هذا الكتاب الذي يتشرف بتاريخ حياة الإمام العاشر عليه السلام، فإن مشروع التأليف عن تاريخ المعصومين الأربعة عشر يكون قد أنجز بفضل الله بالرغم من أنه قد تكون الفاصلة الزمنية بين الكتاب والآخر تبلغ ثلاثاً وعشرين عاماً من سني المحن والفتن، وإذا وجد القارئ اختلافاً بين أساليب التأليف، فهو الاختلاف بين شاب عمره ٢٣ عاماً ومن بلغ الخامسة والأربعين من حياته التي أسأل الله تعالى أن يختمها بالشهادة في سبيله وحسن العاقبة بحق أوليائه المعصومين محمد وآله الطاهرين.

الفصل الأول

مُنعطفاتُ الحركةِ الرسالية

منذ أن هبط آدم أبو البشر عليه السلام أرض الفتن والابتلاء، وإلى قيام الساعة، تجري سنّة الصراع بين الأبرار الذين ابتغوا رضوان الله، والضّالين الذين اتبعوا خطوات الشيطان.

ولم تخل الأرض -في أية حقبة- عن أولي بقية من سلالة النبيين واتباعهم ينهون عن الفساد في الأرض، ويُقيمون حجة الله على العباد.

وقد قال ربّنا سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[1].

وكان يقود أولئك البقية الصالحة نبي مرسل، أو وصي نبي، أو عالم رباني، يتوارثون الدعوة إلى الله، والقيام بأمره. وورث الإمام الهادي عليه السلام هذه القيادة الرشيدة من والده الجواد عليه السلام الذي انتهى إليه ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والمهيمن على رسالات الله جميعاً! فالإمامة الربانية ورثها المصطفون من عباد الله، وإن نهج الحق توارثه العلماء الربانيون، وأهل الزهد والصلاح من شيعة الحق وأتباع نهج الأنبياء.

وكان هدف هذا الخط الميمون تحقيق التطلعات ذاتها التي سعى

(١) سورة هود، الآية: ١١٦.

إليها الأنبياء والصالحون عبر التاريخ، والتي يوجزها ربنا سبحانه في كتابه حين يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

إن ما تهدينا إليه سائر الآيات القرآنية، ومنها هذه الآية المباركة، هي الغايات السامية لابتعاث الرسل، وهي التالية:

ألف: الدعوة إلى الله بالبينات، التي تتمثل في كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ**...»[2]. هكذا بإيقاظ العقل من سباته، وإثارة الوجدان من تحت ركام الغفلة، وتنقية الفطرة من الشوائب، والحجب، بذلك كله تتم حجة الله على عباد الله عبر رسله الكرام!

باء: تلاوة كتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء مما يحتاجه الخلق، وعبر تلاوة الكتاب وآياته الكريمة كان الأنبياء عليهم السلام يقومون بتزكية الناس وتعليمهم، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[3].

جيم: توفير الميزان: والذي يعني ولي الأمر الذي يقضي بين الناس بالعدل، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.
(٢) بحار الأنوار، ج١١، ص٦٠.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٢.

﴿يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

وهكذا كل من يستلم منصب الخلافة الإلهية يكون ميزاناً للحق وفرقاناً ونوراً، ليعلم الناس إذا تشابهت المذاهب، واختلفت الآراء، أيَّ سبيل يهديهم إلى ربهم، وأيَّ نهج يرضاه خالقهم.

دال: والهدف الأسمى لكل تلك التطلعات السامية تحقيق أقصى درجات العدالة بين الناس وهي القسط، والتي لا تتم إلَّا بإيمان الناس بالرسل واتِّباعهم للكتاب وتسليمهم للميزان؛ لذلك قال ربنا سبحانه: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، ومعلوم: أن هذا القسط لا يتحقق بالتمام إلَّا بقوة مادية رادعة تتمثل بالحديد الذي أنزله الله، وجعل فيه بأساً شديداً.

والحديد بدوره لا يعني شيئاً لو لم تحمله أيادٍ شجاعةٌ متفانيةٌ في سبيل الله ونصر دينه ورسله.

فإذا حملوا الحديد دفاعاً عن وحي الله ونهج رسل الله، نزل عليهم نصر الله إن الله قوي عزيز، كما قال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

تلك كانت تطلعات الخط الرسالي الذي قاده في عصره الإمام النقي علي بن محمد الهادي عليه السلام، فماذا كانت منعطفات هذا الخط منذ تبلوره في عصر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى ذلك اليوم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.

بعد رحيل النبي إلى الرفيق الأعلى كانت الأمة الناشئة بحاجة إلى إمام يُحافظ على تراث الرسول ﷺ، ويُدافع عن خطه الأصيل أن يتفرَّق الناس عنه يميناً ويساراً، ويُكرس تلك القيم السامية التي نزل بها الوحي في واقع الأمة.

وقد قام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بذلك خير قيام والتفَّ حوله الأصفياء من الأمة الذين أصبحوا تلك البقية الصالحة الذين حافظوا على الخط الأصيل للرسالة الإلهية!

وعندما وقعت معركة صفّين ازداد الفرق بين هذا الخط وسائر الخطوط وضوحاً، وانحاز الأبرار كليًّا إلى الإمام عليه السلام وبينهم بقية السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ، وبقي هذا الخط في تصاعد رغم إرهاب الحزب الأموي الحاكم، ولكنه لم يشتهر في أرجاء الأرض إلَّا بعد أن اصطبغ بلون الدم، واكتسب حرارة المأساة بعد واقعة الطف، فإذا كانت بلورة الخط في صفّين، فإن رشده وتكامله كان في يوم عاشوراء.

وعلى عهد الإمام زين العابدين تضاعفت صبغته الإلهية. وفي عهد الإمام الباقر تبلور فيه المنهج التوحيدي حيث يلتقي في ذروته العقل النير بالوحي المنزل. أما في عهد الإمام الصادق عليه السلام فإن تفاصيل هذا المنهج في الأحكام والأخلاق والآداب والمواعظ كانت قد رُسمت بصورة تامة.

أما في عهد الإمام الكاظم عليه السلام فإن الخط قد اتخذ الصبغة السياسية في صورتها حيث التخطيط لثورة جماهيرية، أما على عهد الأئمة من بعده -الإمام الرضا وأبنائه الثلاثة- فإن الخط الرسالي قد أصبح قوة سياسية واجتماعية متداخلة مع السلطة الحاكمة مؤثرة في

قراراتها مهيمنة على الحياة الدينية.

وهكذا كان عهد الإمام الهادي عليه السلام يتميز بقدرة الخط الرسالي على جميع الأصعدة بالرغم من الإرهاب الذي كان يتميز به النظام العباسي، وبالذات على عهد المتوكّل العبّاسي.

ولعلنا نجد في الشواهد التاريخية التالية بعض الملامح لوضع الطائفة في عصر الإمام عليه السلام.

١ - في حديث مفصل رواه الشيخ الكليني رضوان الله عليه عما جرى بعد وفاة الإمام الجواد عليه السلام جاء فيه:

«فَلَمَّا مَضَى أَبُو جَعْفَرٍ (الإمام الجواد عليه السلام) لَمْ أَخْرُجْ مِنْ مَنْزِلِي حَتَّى عَلِمْتُ أَنَّ رُؤُوسَ الْعِصَابَةِ قَدِ اجْتَمَعُوا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ (الرخجي وكان ثقة من أصحاب الرضا والجواد ووكيلاً عن الإمام الهادي عليه السلام) يَتَفَاوَضُونَ فِي الْأَمْرِ»[1].

وهكذا كان للشيعة يومئذ مجالس للتفاوض في الأمور المهمّة، ومن أبرزها معرفة الإمام والبيعة له والتسليم لأوامره، وقد أجمعوا بعد الإمام الجواد عليه السلام على الإمام الهادي عليه السلام، بما تناهت إليهم من الأخبار الصحيحة بذلك حيث جاء في نهاية هذه الرواية: «فَلَمْ يَبْرَحِ الْقَوْمُ حَتَّى سَلَّمُوا لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام». وأضاف الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد: «والأخبار في هذا الباب كثيرة جدًّا إن عملنا على إثباتها طال الكتاب، وفي إجماع العصابة على إمامة أبي الحسن وعدم من يدعيها سواه في وقته ممن يلتمس الأمر فيه؛ غنىً عن إيراد الأخبار بالنصوص

(١) الحديث مفصل أخذنا منه موضع الحاجة عن بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٠.

على التفصيل»[1].

وهكذا ترى الشيخ المفيد يقول بإمامة الهادي عليه السلام بإجماع العصابة، بلى وهم صفوة الأمة وكبار فقهائها، فمعرفتهم بالإمام الذي عاصروه وعاصروا والده وجدّه، سبيل عقلائي إلى معرفة الإمام بعدهم.

والأمر الذي نستفيده من كلام الشيخ المفيد، ومن الحديث الذي يرويه، هو وضع الطائفة في ذلك اليوم.

٢- وكان فتح بن خاقان وزيراً عند المتوكل، ولكنه كان يتحبب إلى الإمام الهادي عليه السلام، إما لميله النفسي إليه أو لأنه كان من رجاله في البلاط، ولكن ورد من الإمام بحقه الذم حفاظاً عليه. دعنا نستمع معاً إلى الحديث التالي الذي يحكي مكرمة من مكارم الإمام عليه السلام، وفي الوقت ذاته يعكس جانباً من وضع الطائفة في تلك الأيام!

قَصَدْتُ الْإِمَامَ عليه السلام يَوْماً فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي! إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَطْرَحَنِي وَقَطَعَ رِزْقِي وَمَلَّنِي، وَمَا أَتَّهِمُ فِي ذَلِكَ إِلَّا عِلْمَهُ بِمُلَازَمَتِي لَكَ، وَإِذَا سَأَلْتُهُ شَيْئاً مِنْهُ يَلْزَمُهُ الْقَبُولُ مِنْكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيَّ بِمَسْأَلَتِهِ، فَقَالَ: تُكْفَى إِنْ شَاءَ اللهُ.

فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ طَرَقَنِي رُسُلُ الْمُتَوَكِّلِ، رَسُولٌ يَتْلُو رَسُولًا، فَجِئْتُ وَالْفَتْحُ عَلَى الْبَابِ قَائِمٌ فَقَالَ: يَا رَجُلُ! مَا تَأْوِي فِي مَنْزِلِكَ بِاللَّيْلِ؟ كَدَّنِي هَذَا الرَّجُلُ مِمَّا يَطْلُبُكَ، فَدَخَلْتُ وَإِذَا الْمُتَوَكِّلُ جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى! نُشْغَلُ عَنْكَ وَتُنْسِينَا نَفْسَكَ، أَيُّ شَيْءٍ لَكَ عِنْدِي؟ فَقُلْتُ: الصِّلَةُ الْفُلَانِيَّةُ وَالرِّزْقُ الْفُلَانِيُّ، وَذَكَرْتُ أَشْيَاءَ فَأَمَرَ لِي

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢١، نقلاً عن إرشاد المفيد، ص ٣٠٨.

بها وبضعفها.

فقلت للفتح: وافى علي بن محمد إلى هاهنا، فقال: لا، فقلت: كتب رقعة، فقال: لا، فوليت منصرفا فتبعني فقال لي: لست أشك أنك سألته دعاء لك، فالتمس لي منه دعاء.

فلما دخلت إليه عليه السلام فقال لي: **يا أبا موسى! هذا وجه الرضا**، فقلت: ببركتك يا سيدي، ولكن قالوا لي: إنك ما مضيت إليه ولا سألته، فقال: **إن الله تعالى علم منا أنا لا نلجأ في المهمات إلا إليه، ولا نتوكل في الملمات إلا عليه، وعودنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا.**

قلت: إن الفتح قال لي: كيت وكيت، قال: **إنه يوالينا بظاهره ويجانبنا بباطنه، الدعاء لمن يدعو به، إذا أخلصت في طاعة الله واعترفت برسول الله صلى الله عليه وآله وبحقنا أهل البيت، وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمك**»[1].

٣- وكان الإمام الهادي يسكن سامراء في عاصمة الخلافة، وكان يدخل على المتوكل، وينقل الرواة في صفة دخوله عليه أنه كان لا يملك من يحضر باب الخليفة إلّا أن يترجل إذا طلع عليه الإمام، يقول محمد بن الحسن بن الأشتر العلوي.. قال: «كُنْتُ مَعَ أَبِي بِبَابِ الْمُتَوَكِّلِ وَأَنَا صَبِيٌّ فِي جَمْعِ النَّاسِ مَا بَيْنَ طَالِبِيٍّ إِلَى عَبَّاسِيٍّ إِلَى جُنْدِيٍّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام تَرَجَّلَ النَّاسُ كُلُّهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِمَ نَتَرَجَّلُ لِهَذَا الْغُلَامِ؟ وَمَا هُوَ بِأَشْرَفِنَا وَلَا بِأَكْبَرِنَا وَلَا بِأَسَنِّنَا وَلَا

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٧.

بِأَعْلَمِنَا؟ فَقَالُوا: وَاللهِ لَا تَرَجَّلْنَا لَهُ، فَقَالَ هُمْ أَبُو هَاشِمٍ: وَاللهِ لَتَرَجَّلُنَّ لَهُ صِغَاراً وَذِلَّةً إِذَا رَأَيْتُمُوهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَقْبَلَ وَبَصُرُوا بِهِ، فَتَرَجَّلَ لَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَقَالَ هُمْ أَبُو هَاشِمٍ: أَلَيْسَ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ لَا تَتَرَجَّلُونَ لَهُ؟ فَقَالُوا: وَاللهِ مَا مَلَكْنَا أَنْفُسَنَا حَتَّى تَرَجَّلْنَا»[1].

وكان الإمام إذا دخل على المتوكل رفعوا له الستر واحترموه بكل وقار، تقول الرواية: «إِنَّ أَحَدَ الْأَشْرَارِ قَالَ يَوْماً لِلْمُتَوَكِّلِ: مَا يَعْمَلُ أَحَدٌ بِكَ أَكْثَرَ مِمَّا تَعْمَلُهُ بِنَفْسِكَ فِي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الدَّارِ إِلَّا مَنْ يَخْدُمُهُ وَلَا يُتْعِبُونَهُ بِشَيْلِ سِتْرٍ وَلَا فَتْحِ بَابٍ وَلَا شَيْءٍ، وَهَذَا إِذَا عَلِمَهُ النَّاسُ قَالُوا: لَوْ لَمْ يَعْلَمِ اسْتِحْقَاقَهُ لِلْأَمْرِ مَا فَعَلَ بِهِ هَذَا...»[2].

ويظهر من هذا الحديث المفصل الذي أخذنا منه موضع الحاجة أنه عليه السلام كان مهيباً مُبَجَّلاً حتى في بلاط أشد الخلفاء العباسيين إرهاباً في عصره وهو المتوكل العباسي.

وكان عليه السلام إذا دخل على الخليفة جابهه بالحق، فقد دخل يوما عليه فقال المتوكل: «يَا أَبَا الْحَسَنِ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟، قَالَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْعَلَوِيُّ حَيْثُ يَقُولُ:

لَقَدْ فَاخَرَتْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عِصَابَةٌ بِمَطِّ خُدُودٍ وَامْتِدَادِ أَصَابِعِ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْقَضَاءَ قُضِيَ لَنَا عَلَيْهِمْ بِمَا فَاهُوا نِدَاءَ الصَّوَامِعِ

قَالَ: وَمَا نِدَاءُ الصَّوَامِعِ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً... جَدِّي أَمْ جَدُّكُمْ؟

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٣٧.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٨.

فَضَحِكَ الْمُتَوَكِّلُ كَثِيراً ثُمَّ قَالَ: هُوَ جَدُّكَ لَا نَدْفَعُكَ عَنْهُ»[1].

ومرة أخرى أدخل المتوكل الإمام عليه السلام إلى مجلس لهوه وطلب منه المشاركة فيما كان فيه، فوعظه الإمام عِظَةً بليغة، تعالوا نستمع إلى قصة ذلك حسبما ينقلها المسعودي، قال: «سُعِيَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ بِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْجَوَادِ عليه السلام أَنَّ فِي مَنْزِلِهِ كُتُباً وَسِلَاحاً مِنْ شِيعَتِهِ مِنْ أَهْلِ قُمَّ، وَأَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى الْوُثُوبِ بِالدَّوْلَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنَ الْأَتْرَاكِ فَهَجَمُوا دَارَهُ لَيْلًا، فَلَمْ يَجِدُوا فِيهَا شَيْئاً، وَوَجَدُوهُ فِي بَيْتٍ مُغْلَقٍ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الرَّمْلِ وَالْحَصَى، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَتْلُو آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَحُمِلَ عَلَى حَالِهِ تِلْكَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ، وَقَالُوا لَهُ: لَمْ نَجِدْ فِي بَيْتِهِ شَيْئاً، وَوَجَدْنَاهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ جَالِساً فِي مَجْلِسِ الشُّرْبِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَالْكَأْسُ فِي يَدِ الْمُتَوَكِّلِ، فَلَمَّا رَآهُ هَابَهُ وَعَظَّمَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ، وَنَاوَلَهُ الْكَأْسَ الَّتِي كَانَتْ فِي يَدِهِ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا يُخَامِرُ لَحْمِي وَدَمِي قَطُّ فَأَعْفِنِي، فَأَعْفَاهُ فَقَالَ: أَنْشِدْنِي شِعْراً، فَقَالَ عليه السلام: إِنِّي قَلِيلُ الرِّوَايَةِ لِلشِّعْرِ، فَقَالَ: لَا بُدَّ، فَأَنْشَدَهُ عليه السلام، وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَهُ:

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ ... غُلْبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ الْقُلَلُ

وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاقِلِهِم ... وَأَسْكِنُوا حُفَراً يَا بِئْسَمَا نَزَلُوا

نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ دَفْنِهِم ... أَيْنَ الْأَسَاوِرُ وَالتِّيجَانُ وَالْحُلَلُ

أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةً ... مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكِلَلُ

فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَلَهُم ... تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ تَقْتَتِلُ

قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْراً وَقَدْ شَرِبُوا ... وَأَصْبَحُوا الْيَوْمَ بَعْدَ الْأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٩.

قَالَ: فَبَكَى الْمُتَوَكِّلُ حَتَّى بَلَّتْ لِحْيَتَهُ دُمُوعُ عَيْنَيْهِ، وَبَكَى الْحَاضِرُونَ، وَدَفَعَ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ مُكَرَّماً»[1].

وحسبما نقرأ في المصادر التاريخية، كان الكثير من بطانة الخليفة يتشيع للإمام، أما واقعاً أو لما يجد عند الشيعة من ثقل سياسي، مثل الفتح بن خاقان الذي كان من أعظم وزراء المتوكل، والذي قتل معه عندما انقلب عليه عسكره من الأتراك، كان يحاول التقرب إلى الإمام، ويظهر من بعض الروايات أن المتوكل كان يتهمه بذلك مما يدل على أنه قد أحسَّ بأمره[2].

وجاء فيه: «فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ: يَا فَتْحُ هَذَا صَاحِبُكَ وَضَحِكَ فِي وَجْهِ الْفَتْحِ وَضَحِكَ الْفَتْحُ فِي وَجْهِهِ».

كما يظهر من القصة التالية أن بعض قادة النظام العسكريين كانوا يكنون للإمام الحب وربما الولاء، كما أن القصة تعكس جانباً من انتشار حب الإمام واحترامه بين عامة الناس لا سيما في الحرمين الشريفين.

ينقل عن القائد العباسي يَحْيَى بْنِ هَرْثَمَةَ قَالَ: «وَجَّهَنِي الْمُتَوَكِّلُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِإِشْخَاصِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عليه السلام لِشَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَيْهَا ضَجَّ أَهْلُهَا وَعَجُّوا ضَجِيجاً وَعَجِيجاً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ، فَجَعَلْتُ أُسَكِّنُهُمْ وَأَحْلِفُ أَنِّي لَمْ أُومَرْ فِيهِ بِمَكْرُوهٍ، وَفَتَّشْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أُصِبْ فِيهِ إِلَّا مَصَاحِفَ وَدُعَاءً وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَأَشْخَصْتُهُ وَتَوَلَّيْتُ خِدْمَتَهُ وَأَحْسَنْتُ عِشْرَتَهُ.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢١١ ٢١٢.
(٢) راجع بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٦ الحديث الثامن.

فَبَيْنَا أَنَا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَالسَّمَاءُ صَاحِيَةٌ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ، إِذَا رَكِبَ وَعَلَيْهِ مِمْطَرٌ قَدْ عَقَدَ ذَنَبَ دَابَّتِهِ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ فِعْلِهِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُنَيْئَةٌ حَتَّى جَاءَتْ سَحَابَةٌ فَأَرْخَتْ عَزَالِيَهَا وَنَالَنَا مِنَ الْمَطَرِ أَمْرٌ عَظِيمٌ جِدًّا، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: **أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْكَرْتَ مَا رَأَيْتَ، وَتَوَهَّمْتَ أَنِّي أَعْلَمُ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَمْ تَعْلَمْ. وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا ظَنَنْتَ وَلَكِنِّي نَشَأْتُ بِالْبَادِيَةِ، فَأَنَا أَعْرِفُ الرِّيَاحَ الَّتِي تَكُونُ فِي عَقِبِهَا الْمَطَرُ، فَتَأَهَّبْتُ لِذَلِكَ.**

فَلَمَّا قَدِمْتُ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ بَدَأْتُ بِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الطَّاهِرِيِّ، وَكَانَ عَلَى بَغْدَادَ فَقَالَ: يَا يَحْيَى! إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ وَلَدَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَالْمُتَوَكِّلُ مَنْ تَعْلَمُ وَإِنْ حَرَّضْتَهُ عَلَيْهِ قَتَلَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله خَصْمَكَ، فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا وَقَفْتُ مِنْهُ إِلَّا عَلَى أَمْرٍ جَمِيلٍ.

فَصِرْتُ إِلَى سَامَرَّاءَ فَبَدَأْتُ بِوَصِيفٍ التُّرْكِيِّ، وَكُنْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لِي: وَاللهِ لَئِنْ سَقَطَ مِنْ رَأْسِ هَذَا الرَّجُلِ شَعْرَةٌ لَا يَكُونُ الطَّالِبُ بِهَا غَيْرِي، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ قَوْلِهِمَا، وَعَرَفْتُ الْمُتَوَكِّلَ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ وَسَمِعْتُهُ مِنَ الثَّنَاءِ، فَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ وَأَظْهَرَ بِرَّهُ وَتَكْرِمَتَهُ»[1].

وكان عصر الإمام عليه السلام قد تميَّز بالتحولات السياسية حيث تنامى بعودة الأتراك في بلاط العباسيين، وكان كل قائد منهم يميل إلى واحد من المرشحين للخلافة، فيتحيَّن الفرص لدفعه إلى واجهة السلطة وتسميته باسم الخليفة ليلعب ما يشاء في أمور البلاد باسمه. فبعدما مضى المعتصم مَلَكَ الواثق ابنه واستوزر ابن الزيات، وغضب على جعفر بن المعتصم أخيه، وما لبث أن مات واستخلف المتوكل وقتل ابن الزيات، وشهد عصره قدراً من الاستقرار، وقبل أن يموت الواثق سُئِلَ

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

عن الخليفة بعده فقال: «لا يراني الله أتقلدها حيّاً وميتاً»، ويبدو من هذه الكلمة: أنه كان يعرف ماذا تعني الخلافة في عصره أَوَلَيْسَتْ تعني القمع والدجل والمؤامرات والانغماس في الشهوات؟ ثم أَلَيْسَ أنه نفسه قد سجن أخاه المتوكل بعد أن ولّاه إمارة الحج لمّا عرف أنه ينافسهم الأمر ولم يقبل فيه شفاعة أحد؟.

وبعد الواثق وُلّي المتوكل الذي شهد عصره قدراً من الاستقرار ولكنه كان استقراراً قائماً على العنف والتضليل.

وأبرز مظاهر عنفه سياستُهُ الإرهابيةُ تجاه البيت العلوي، وأمره بهدم قبر سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، حيث أمر سنة ٢٣٦هـ بهدم قبر الإمام وما حوله من الدور، وأن يُحرث ويُبذر ويُسقى موضعه، وأن يُمنع الناس من إتيانه. فَذُكِرَ أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عنده بعد ثلاثة أيام بعثنا به إلى المطبق (السجن)، فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه.

وقد أثار المتوكل بهذه السياسة حفيظة المسلمين وخاصة أهل بغداد الذين ردوا على الإهانات -التي ألحقها بالعلويين- بسببه في المساجد والطرقات[1].

ووقعت في عهده مجاعة رهيبة في العراق وهلك كثير من الناس، وقد طمع الروم في بلاد الإسلام بسبب ضعف الدولة العباسية فاستأنفوا غاراتهم على أراضي قاليقلا جنوبي آسيا الصغرى وهزموا أهلها هزيمة منكرة[2].

(١) انظر: تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ١١.
(٢) انظر: تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ١١.

وتظهر من القصة التالية صورة عن طبيعة حكم المتوكل، وما بلغ من إرهابه ضد العلويين ومن ثورة هؤلاء ضده.

قال البختري: «كُنْتُ بِمَنْبِجَ بِحَضْرَةِ الْمُتَوَكِّلِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَوْلَادِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، حُلْوُ الْعَيْنَيْنِ حَسَنُ الثِّيَابِ، قَدْ قَرَفَ عِنْدَهُ بِشَيْءٍ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْمُتَوَكِّلُ مُقْبِلٌ عَلَى الْفَتْحِ يُحَدِّثُهُ.

فَلَمَّا طَالَ وُقُوفُ الْفَتَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ:

«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنْ كُنْتَ أَحْضَرْتَنِي لِتَأْدِيبِي فَقَدْ أَسَأْتَ الْأَدَبَ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَحْضَرْتَنِي لِيَعْرِفَ مَنْ بِحَضْرَتِكَ مِنْ أَوْبَاشِ النَّاسِ اسْتِهَانَتَكَ بِأَهْلِي فَقَدْ عَرَفُوا».

فَقَالَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ: وَاللهِ يَا حَنَفِيُّ! لَوْلَا مَا يُثْنِينِي عَلَيْكَ مِنْ أَوْصَالِ الرَّحِمِ، وَيَعْطِفُنِي عَلَيْكَ مِنْ مَوَاقِعِ الْحِلْمِ؛ لَانْتَزَعْتُ لِسَانَكَ بِيَدِي وَلَفَرَّقْتُ بَيْنَ رَأْسِكَ وَجَسَدِكَ وَلَوْ كَانَ بِمَكَانِكَ مُحَمَّدٌ أَبُوكَ، قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْفَتْحِ فَقَالَ: أَمَا تَرَى مَا نَلْقَاهُ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ؟ إِمَّا حَسَنِيٌّ يَجْذِبُ إِلَى نَفْسِهِ تَاجَ عِزٍّ نَقَلَهُ اللهُ إِلَيْنَا قَبْلَهُ، أَوْ حُسَيْنِيٌّ يَسْعَى فِي نَقْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْنَا قَبْلَهُ، أَوْ حَنَفِيٌّ يَدُلُّ بِجَهْلِهِ أَسْيَافَنَا عَلَى سَفْكِ دَمِهِ.

فَقَالَ لَهُ الْفَتَى: «وَأَيُّ حِلْمٍ تَرَكَتْهُ لَكَ الْخُمُورُ وَإِدْمَانُهَا؟ أَمِ الْعِيدَانُ وَقِيَانُهَا؟ وَمَتَى عَطَفَكَ الرَّحِمُ عَلَى أَهْلِي وَقَدِ ابْتَزَزْتَهُمْ فَدَكاً إِرْثَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَرِثَهَا أَبُو حَرْمَلَةَ! وَأَمَّا ذِكْرُكَ مُحَمَّداً أَبِي فَقَدْ طَفِقْتَ تَضَعُ عَنْ عِزِّ رَفَعَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَتُطَاوِلُ شَرَفاً تَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا تَطُولُهُ، فَأَنْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

ثُمَّ هَا أَنْتَ تَشْكُو لِي عِلْجَكَ هَذَا مَا تَلْقَاهُ مِنَ الْحَسَنِيِّ وَالْحُسَيْنِيِّ وَالْحَنَفِيِّ فَـ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾[1].

ثُمَّ مَدَّ رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: هَاتَانِ رِجْلَايَ لِقَيْدِكَ وَهَذِهِ عُنُقِي لِسَيْفِكَ، فَبُؤْ بِإِثْمِي وَتَحَمَّلْ ظُلْمِي، فَلَيْسَ هَذَا أَوَّلَ مَكْرُوهٍ أَوْقَعْتَهُ أَنْتَ وَسَلَفُكَ بِهِمْ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]، فَوَاللهِ مَا أَجَبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ مَسْأَلَتِهِ، وَلَقَدْ عَطَفْتَ بِالْمَوَدَّةِ عَلَى غَيْرِ قَرَابَتِهِ، فَعَمَّا قَلِيلٍ تَرِدُ الْحَوْضَ فَيَذُودُكَ أَبِي وَيَمْنَعُكَ جَدِّي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا.

قَالَ: فَبَكَى الْمُتَوَكِّلُ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ إِلَى قَصْرِ جَوَارِيهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَحْضَرَهُ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ[3].

وكانت قبضة المتوكل الحديدية وإرهابه الشديد سبباً لسخط الناس عليه، والذي تنامى حتى بلغ الجيش الذي ثار عليه بقيادة بغا الصغير وباغر، وقُتِلَ المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان، وخَلَفَهُ ابنه المنتصر في شوال عام ٢٤٧هـ الذي أخذ يخالف أباه في كل شيء، وبالذات فيما يتعلق بالبيت العلوي، وحتى أنشد يزيد المعلبي يقول:

ولقد برزت الطالبية بعدما ذموا زماناً بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخوانا[4]

ولم يدم عهد المنتصر الذي وصفه بعض المؤرخين بالحسن،

(١) سورة الحج، الآية: ١٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٣) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢١٣ - ٢١٤.
(٤) انظر: تاريخ الإسلام السياسي، ج ٣، ص ١٢ - ١٣.

وقالوا: كان عظيم الحلم، راجح العقل، غزير المعروف راغباً في الخير جواداً كثير الإنصاف حسن العشرة[1].

فقد مات بعد ستة أشهر وذلك سنة (٢٤٨هـ) وبايع الناس أحمد بن محمد المعتصم (٢٤٨ - ٢٥٢هـ) وأعطوه لقب المستعين بالله، ويبدو أن المستعين أراد أن يحدّ من نفوذ الأتراك الذين تحوّلت قوتهم العسكرية إلى قوة سياسية متنامية في البلاد، فواجه تحدياً من قبل بعضهم وبالذات من بغا وباغر اللذين تمردا عليه وبايعا المعتز بن المتوكل، وقامت حرب ضارية بين أنصار الخليفتين حيث استقر الأول ببغداد والثاني بسامراء، وأثرت الحرب في الحالة الاقتصادية للبلاد. وبعد أن تم الأمر للمعتز أُبعِدَ المستعين إلى واسط ولكنه قتل على يد عصابة سيرها بقيادة سعيد الخادم[2].

ولكن المعتز بقي يخشى جانب الأتراك الذين قتلوا أباه وخلعوا ابن عمه، وهكذا لم تصفُ له الخلافة بل قُتِلَ بصورة شنيعة يصفها المؤرخون بما يلي.. قد حلَّ إليه جماعة من الأتراك فجرُّوه برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس في الدار، فكان يرفع رجلاً ويضع اخرى لشدة الحر، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده. ثم أشهدوا على خلعه بعض علماء البلاط وأدخلوه سرداباً وجَصَّصُوا عليه وسدوا عليه الباب حتى مات[3].

وبعده استخلفوا المهتدي بن الواثق عام ٢٥٥هـ واضطربت

(١) المصدر السابق عن ابن الأثير، ج ٧، ص ٢٩.
(٢) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٣، ص١٤، عن ابن الأثير، ج ٧ ص ٦٠ - ٦١.
(٣) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٣، ص١٥.

البلاد في عهده، فمن ثورة ببغداد إلى تمرد في الجيش، إلى انتفاضات للعلويين هنا وهناك.

وهكذا أصبحت الخلافة العباسية شعاراً لكل الطامعين في السلطة، وأصبحت المؤامرة والدجل سمة بارزة للسياسة. وكل ذلك كان نهاية طبيعية للإرهاب والدجل الذي مارسه الرواد الأوائل لهؤلاء الخلفاء، حيث إن المعتصم مثلاً حينما استقدم الأتراك وجعل منهم قوة عسكرية ضاربة، وأرهب بهم الناس، وأخمد الانتفاضات والثورات، كان من الطبيعي أن تتحول هذه القوة ضد أسرته وأن تستبد بالأمر دونهم. حتى حكى بعض المؤرخين أنه لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصهم وأحضروا المنجمين وقالوا لهم: انظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة، وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال: أنا أَعْرَفُ من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته، فقالوا: فكم تقول إنه يعيش وكم يملك؟ قال: مهما أراد الأتراك. فلم يبق في المجلس إلّا من ضحك[1].

وهكذا كان الانحراف يبدأ في الظاهر قليلاً وسرعان ما يجرف كل خير وصلاح، وإنما كان الأئمة عليهم السلام وأنصارهم يُدافعون عن قيم الحق والعدل والحرية، لكيلا تنتهي أمور الدين وشؤون الملة إلى مثل هذه المآسي الفظيعة.

(١) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٣، ص ١٥.

الفصل الثّاني

سيرة الإمام الهادي عليه السلام

في الثاني من رجب من عام ٢١٢هـ، استقبلت المدينة المنورة ميلاد أول أبناء الإمام الجواد عليه السلام، وعمّ البيت الهاشمي فرح عظيم، فسمّاه والده عليًّا باسم جده الرضا وجده الأكبر أمير المؤمنين، وكنّاه بأبي الحسن ومشت ألقابه الكريمة تُعبِّر عن مُحيّاه الكريم وسيرته الزكيّة، فكان النجيب والمرتضى والهادي والنقي والعالم والفقيه والأمين والمؤتمن والطيب والمتوكل.

وعندما انتقل إلى مدينة سامراء وسكن محلة كانت تسمى عسكر سُمّيَ أيضاً العسكري أو الفقيه العسكري.

وقيل: بل كان اسم سامراء العسكر؛ لأنها كانت حاشية الجيش ولذلك سمي الإمام بـ(العسكري).

أما أمّه فكانت سمانة المغربية، وترعرع الوليد في ظل أبيه يربيه بعلم الإمامة، ويرفع له من معارف الدين كل يوم علماً ويأمره بالاقتداء به، وفي الثامن والعشرين من محرم عام ٢٢٠هـ حيث استقدم المعتصم والده الإمام الجواد عليه السلام إلى العراق، أجلسه في حجره وقَالَ لَهُ: «**مَا الَّذِي تُحِبُّ أَنْ أُهْدِيَ إِلَيْكَ مِنْ طَرَائِفِ الْعِرَاقِ؟ فَقَالَ عليه السلام: سَيْفاً كَأَنَّهُ شُعْلَةُ نَار**»[1].

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٣.

ولكنه لم ير ذلك السيف ولم يعد يرى والده الكريم؛ لأنه لم يعد من تلك الرحلة أبداً. فلعله كان في يوم ٢٩ ذي القعدة من عام ٢٢٠هـ حيث رأت عائلة الإمام أنه قد أُرْعِبَ، وكان عمره يومئذ ثمانية أعوام فسألوه ما به فقال: «**مَاتَ أَبِي وَاللهِ السَّاعَةَ**، فقالوا له: لَا تَقُلْ هَذَا، فَقَالَ: **هُوَ وَاللهِ كَمَا أَقُول**. فكتبوا ذلك اليوم فكان كما قال»[1].

وكان قد سبقت وصية أبيه إلى زعماء الطائفة فاجتمعوا وسلّموا إليه الأمر، كما سبق الحديث عن ذلك بتفصيل.

وبقي في مدينة جده بقية خلافة المعتصم وأيام خلافة الواثق، حيث اشتهرت مكارمه في الآفاق، فلما ملك المتوكل، خشي منه القيام ضده فاستقدمه، ليكون قريباً منه يراقبه ويسهل الضغط عليه.

ويبدو أنه لم يستقدمه إلّا بعد أن توالت عليه الرسائل من الحجاز تخبره بأن الناس في الحرمين يميلون إليه، وكانت زوجة المتوكل التي يبدو أنه أرسلها لاستخبار الأمر ممن بعثوا الرسائل.

ويبدو من طريقة استقدام الإمام أن المتوكل كان شديد الحذر في الأمر، حيث بعث بسرية كاملة من سامراء إلى المدينة لتحقيق هذا الأمر، كما سبق. وقد كتب المتوكل إلى الإمام رسالة رقيقة جاء فيها:

«فَقَدْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَرْفَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَمَّا كَانَ يَتَوَلَّى مِنَ الْحَرْبِ وَالصَّلَاةِ بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ، إِذْ كَانَ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنْ جَهَالَتِهِ بِحَقِّكَ وَاسْتِخْفَافِهِ بِقَدْرِكَ، وَعِنْدَمَا قَرَفَكَ بِهِ وَنَسَبَكَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَرَاءَتَكَ مِنْهُ وَصِدْقَ نِيَّتِكَ فِي بَرِّكَ وَقَوْلِكَ،

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٦.

وَأَنَّكَ لَمْ تُؤَهِّلْ نَفْسَكَ لِمَا قُرِفْتَ بِطَلَبِهِ»[1].

وكان هذا الرجل قد كتب رسالة إلى المتوكل يتهم الإمام فيها بانه ينوي القيام ضده، وكتب الإمام رسالة إلى المتوكل ينفي تلك التهمة، ثم أضاف:

«وَقَدْ وَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ يَلِي مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضْلِ، وَأَمَرَهُ بِإِكْرَامِكَ وَتَبْجِيلِكَ وَالِانْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِكَ وَرَأْيِكَ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ.

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُشْتَاقٌ إِلَيْكَ يُحِبُّ إِحْدَاثَ الْعَهْدِ بِكَ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ»[2].

وعندما نزل الإمام مدينة سامراء أراد المتوكل النيل من شخصيته عند الناس؛ فأمر أن يسكن دار الصعاليك لمدة أيام ثلاث، قبل أن يدخل عليه، وهو لا يعلم أن قدر الإمام عند الله، أو عند عباد الله الصالحين ليس بما يسكنه من دار أو يحوزه من ثروة، وإنما بزهده في درجات الدنيا ورغبته فيما عند الله، فلا يزداد بتواضعه وصبره على الأذى في جنب الله إلّا زلفى من الله.

وهكذا دخل عليه بعض شيعته (صالح بن سعد) في ذلك المكان المتواضع وقال له: «جُعِلْتُ فِدَاكَ! فِي كُلِّ الْأُمُورِ أَرَادُوا إِطْفَاءَ نُورِكَ وَالتَّقْصِيرَ بِكَ حَتَّى أَنْزَلُوكَ هَذَا الْخَانَ الْأَشْنَعَ خَانَ الصَّعَالِيكِ، ولكن الإمام أراه بعض مكرماته ثم قال له: «**حَيْثُ كُنَّا فَهَذَا لَنَا عَتِيدٌ لَسْنَا فِي**

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٠١.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٠١.

خَانِ الصَّعَالِيك»[1].

وقد فتّش الموالون لأهل البيت عن موضع ذلك الخان فاشتروا مكاناً معيناً قريباً من مرقد الإمام الهادي عليه السلام وحولوه إلى مركز ديني بأمل أن يكون هو موضع ذلك الخان الذي تشرف بمقام الإمام فيه برهة من الوقت.

ويبدو أن الإمام كان يقود في تلك الفترة من مقامه في سامراء الخط الرسالي وبطرقه الخاصة، وقد استطاب السكن فيها حتى قال عليه السلام: «**أُخْرِجْتُ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى كَرْهاً وَلَوْ أُخْرِجْتُ عَنْهَا أُخْرِجْتُ كَرْهاً**، قال الراوي: وَلِمَ يَا سَيِّدِي؟ قال: **لِطِيبِ هَوَائِهَا وَعُذُوبَةِ مَائِهَا وَقِلَّةِ دَائِهَا**»[2].

والمتوكل العباسي المعروف بشدّة بطشه وبغضه لأهل البيت عليهم السلام، وإرهابه ضد الشيعة، أراد أن يُبقي أعظم وأقوى معارضيه قريباً منه حتى يسهل عليه القضاء عليه أنّى شاء. إلّا أن الإمام قد كاد بإذن الله كيداً، حيث أخذ ينفذ إلى عمق سلطته، ويمد نفوذه إلى أقرب أنصاره، وهكذا فعل.

في هذا الوقت كانت أم المتوكل تنذر للإمام، ولعل القصص التالية تعكس جانباً من تأثير الإمام في بلاطه.

١ - «مَرِضَ الْمُتَوَكِّلُ مِنْ خُرَاجٍ خَرَجَ بِهِ، فَأَشْرَفَ مِنْهُ عَلَى التَّلَفِ فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَمَسَّهُ بِحَدِيدَةٍ، فَنَذَرَتْ أُمُّهُ إِنْ عُوفِيَ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى أَبِي

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٣٣.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٣٠.

الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام مَالاً جَلِيلاً مِنْ مَالِهَا.

وَقَالَ لَهُ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ: لَوْ بَعَثْتَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ -يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ- فَسَأَلْتَهُ فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَانَ عِنْدَهُ صِفَةُ شَيْءٍ يُفَرِّجُ اللهُ بِهِ عَنْكَ؟ قَالَ: ابْعَثُوا إِلَيْهِ، فَمَضَى الرَّسُولُ وَرَجَعَ فَقَالَ: **خُذُوا كُسْبَ الْغَنَمِ فَدِيفُوهُ بِمَاءِ وَرْدٍ، وَضَعُوهُ عَلَى الْخُرَاجِ فَإِنَّهُ نَافِعٌ بِإِذْنِ اللهِ.**

فَجَعَلَ مَنْ بِحَضْرَةِ الْمُتَوَكِّلِ يَهْزَأُ مِنْ قَوْلِهِ، فَقَالَ لَهُمُ الْفَتْحُ: وَمَا يَضُرُّ مِنْ تَجْرِبَةِ مَا قَالَ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو الصَّلاَحَ بِهِ، فَأُحْضِرَ الْكُسْبُ وَدِيفَ بِمَاءِ الْوَرْدِ وَوُضِعَ عَلَى الْخُرَاجِ، فَانْفَتَحَ وَخَرَجَ مَا كَانَ فِيهِ وَبُشِّرَتْ أُمُّ الْمُتَوَكِّلِ بِعَافِيَتِهِ، فَحَمَلَتْ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام عَشَرَةَ آلاَفِ دِينَارٍ تَحْتَ خَتْمِهَا فَاسْتَقَلَّ الْمُتَوَكِّلُ مِنْ عِلَّتِهِ»[1].

٢- رُوِيَ عَنِ الصَّقْرِ بْنِ أَبِي دُلَفَ الْكَرْخِيِّ قَالَ: «لَمَّا حَمَلَ الْمُتَوَكِّلُ سَيِّدَنَا أَبَا الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيَّ عليه السلام جِئْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَبَرِهِ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ الزَّرَافِيُّ وَكَانَ حَاجِباً لِلْمُتَوَكِّلِ، فَأَمَرَ أَنْ أُدْخَلَ إِلَيْهِ، فَأُدْخِلْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا صَقْرُ مَا شَأْنُكَ؟ فَقُلْتُ: خَيْرٌ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ، فَقَالَ: اقْعُدْ، فَأَخَذَنِي مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ وَقُلْتُ: أَخْطَأْتُ فِي الْمَجِيءِ.

قَالَ: فَوَحَّى النَّاسَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: مَا شَأْنُكَ؟ وَفِيمَ جِئْتَ؟ قُلْتُ: خَيْرٌ مَا، فَقَالَ: لَعَلَّكَ تَسْأَلُ عَنْ خَبَرِ مَوْلاَكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: وَمَنْ مَوْلاَيَ؟ مَوْلاَيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: اسْكُتْ مَوْلاَكَ هُوَ الْحَقُّ فَلاَ تَحْتَشِمْنِي فَإِنِّي عَلَى مَذْهَبِكَ، فَقُلْتُ: الْحَمْدُ للهِ.

قَالَ: أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: اجْلِسْ حَتَّى يَخْرُجَ صَاحِبُ

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٦٨.

البريد من عنده.

قال: فجلست فلمّا خرج، قال لغلام له: خذ بيد الصقر وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس وخلّ بينه وبينه، قال: فأدخلني إلى الحجرة وأومأ إلى بيت، فدخلت فإذا هو جالس على صدر حصير وبحذاه قبر محفور، قال: فسلّمت عليه فردّ عليّ، ثمّ أمرني بالجلوس ثمّ قال لي: **يا صقر! ما أتى بك؟** قلت: سيدي جئت أتعرّف خبرك؟ قال: ثمّ نظرت إلى القبر فبكيت، فنظر إليّ فقال: **يا صقر لا عليك لن يصلوا إلينا بسوء الآن**، فقلت: الحمد لله»[1].

٣- قال أبو عبد الله الزيادي: «لمّا سُمّ المتوكّل نذر لله إن رزقه الله العافية أن يتصدّق بمال كثير، فلمّا عوفي اختلف الفقهاء في المال الكثير، فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين بالصواب فما لي عندك؟

قال: عشرة آلاف درهم وإلّا ضربتك مائة مقرعة، قال: قد رضيت، فأتى أبا الحسن عليه السلام فسأله عن ذلك، فقال: **قل له: يتصدّق بثمانين درهماً**، فأخبر المتوكّل، فسأله: ما العلّة؟ فأتاه، فسأله قال: إنّ الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾[2] فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغت ثمانين موطناً. فرجع إليه فأخبره ففرح وأعطاه عشرة آلاف درهم»[3].

٤- وهكذا كان الإمام عليه السلام يحلّ المعضلات فيزداد الناس

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٥.
(٣) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

إيماناً به، ومعرفة بمقامه وبمدى جهالة خصمه المتوكل. فكثيراً ما كان المتوكل يُوعز إلى بعض أصحابه بأن يسألوا الإمام أسئلة صعبة لعله يتوقف فيها، فمثلاً:

قَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِابْنِ السِّكِّيتِ: «سَلِ ابْنَ الرِّضَا مَسْأَلَةَ عَوْصَاءَ بِحَضْرَتِي، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لِمَ بَعَثَ اللهُ مُوسَى بِالْعَصَا؟ وَبَعَثَ عِيسَى عليه السلام بِإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى؟ وَبَعَثَ مُحَمَّداً بِالْقُرْآنِ وَالسَّيْفِ؟

فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: بَعَثَ اللهُ مُوسَى عليه السلام بِالْعَصَا وَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ فِي زَمَانٍ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِهِ السِّحْرُ فَأَتَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا قَهَرَ سِحْرَهُمْ وَبَهَرَهُمْ وَأَثْبَتَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَبَعَثَ عِيسَى عليه السلام بِإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ فِي زَمَانٍ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِهِ الطِّبُّ فَأَتَاهُمْ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ فَقَهَرَهُمْ وَبَهَرَهُمْ، وَبَعَثَ مُحَمَّداً بِالْقُرْآنِ وَالسَّيْفِ فِي زَمَانٍ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِهِ السَّيْفُ وَالشِّعْرُ فَأَتَاهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الزَّاهِرِ وَالسَّيْفِ الْقَاهِرِ مَا بَهَرَ بِهِ شِعْرَهُمْ وَبَهَرَ سَيْفَهُمْ وَأَثْبَتَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: فَمَا الْحُجَّةُ الْآنَ؟

قَالَ: «الْعَقْلُ يُعْرَفُ بِهِ الْكَاذِبُ عَلَى اللهِ فَيُكَذَّبُ».

وقد كان ابن السكيت هذا عالماً كبيراً في النحو والشعر واللغة، وقالوا عن كتابه المنطق: إنه أفضل كتاب في اللغة كتبه علماء بغداد. وكان المتوكل قد عهد إليه بتربية ابنيه المعتز والمؤيد، فسأله يوماً: أيهما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت: والله

إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك، فقال المتوكل للأتراك سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا فمات عليه السلام.

٥- وفي بعض أيام الربيع حيث كان الجو صحواً وحاراً خرج الناس في مناسبة رسمية صائفين، وخرج الإمام الهادي عليه السلام في ثياب شتوية، فلما توسطوا الصحراء خرجت عليهم سحابة ممطرة وفاضت عليهم الوديان ولم يسلم من أذى المطر والطين إلّا الإمام، فاهتدى إليه وإلى علمه الكثير من الناس.

وهكذا تكيّف الإمام عليه السلام مع الواقع المرّ لعهد المتوكل حتى استفاد منه إيجابيًا لمصلحة الدعوة الإلهية، وذلك بحكمته الرشيدة وباستقامته وصبره في الله.

ولكن المتوكل عقد العزم على الإيقاع به في أيامه الأخيرة فلم يأذن له الله بذلك بل أطيح به في انقلاب دموي.

فقد جاء في البحار: لَمَّا حَبَسَ الْمُتَوَكِّلُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام وَدَفَعَهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ كِرْكِرَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ نَاقَةِ صَالِحٍ ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1]، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَطْلَقَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَثَبَ عَلَيْهِ ياغز [بَاغِزٌ] وَتامش وَمعطون فَقَتَلُوهُ وَأَقْعَدُوا الْمُنْتَصِرَ وَلَدَهُ خَلِيفَةً[2].

ولعل المتوكل اعتقل الإمام أكثر من مرة ولكن الله أنقذه من شرّه، ولعله كان يخشى كل مرة من ثورة جماهيرية عارمة ضده بالإضافة

(١) سورة هود، الآية: ٦٥.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠٤.

إلى أنه لم يجد مبرراً للقضاء على الإمام مع أنه كان يعرف أن في أصحابه من يتشيع له.

فمثلاً عندما سعى البطحاني إلى المتوكل وكان من أولاد أبي طالب ولكنه يتشيع للبيت العباسي، وقال له: إنَّ الإمام الهادي «عِنْدَهُ سِلَاحٌ وَأَمْوَالٌ، فَتَقَدَّمَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى سَعِيدٍ الْحَاجِبِ أَنْ يَهْجُمَ لَيْلًا عَلَيْهِ وَيَأْخُذَ مَا يَجِدُ عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالسِّلَاحِ وَيَحْمِلَ إِلَيْهِ.

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: قَالَ لِي سَعِيدٌ الْحَاجِبُ: صِرْتُ إِلَى دَارِ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام بِاللَّيْلِ وَمَعِي سُلَّمٌ، فَصَعِدْتُ مِنْهُ إِلَى السَّطْحِ، وَنَزَلْتُ مِنَ الدَّرَجَةِ إِلَى بَعْضِهَا فِي الظُّلْمَةِ، فَلَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَصِلُ إِلَى الدَّارِ، فَنَادَانِي أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام مِنَ الدَّارِ: «**يَا سَعِيدُ مَكَانَكَ حَتَّى يَأْتُوكَ بِشَمْعَةٍ**».

فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ أَتَوْنِي بِشَمْعَةٍ، فَنَزَلْتُ فَوَجَدْتُ عَلَيْهِ جُبَّةً مِنْ صُوفٍ وَقَلَنْسُوَةً مِنْهَا وَسَجَّادَتَهُ عَلَى حَصِيرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى الْقِبْلَةِ فَقَالَ لِي: «**دُونَكَ بِالْبُيُوتِ**».

فَدَخَلْتُهَا وَفَتَّشْتُهَا، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا شَيْئاً وَوَجَدْتُ الْبَدْرَةَ مَخْتُومَةً بِخَاتَمِ أُمِّ الْمُتَوَكِّلِ وَكِيساً مَخْتُوماً مَعَهَا، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: «**دُونَكَ الْمُصَلَّى**» فَرَفَعْتُ فَوَجَدْتُ سَيْفاً فِي جَفْنٍ غَيْرِ مَلْبُوسٍ، فَأَخَذْتُ ذَلِكَ وَصِرْتُ إِلَيْهِ.

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى خَاتَمِ أُمِّهِ عَلَى الْبَدْرَةِ بَعَثَ إِلَيْهَا فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ فَسَأَلَهَا عَنِ الْبَدْرَةِ، فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ خَدَمِ الْخَاصَّةِ أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ: كُنْتُ نَذَرْتُ فِي عِلَّتِكَ إِنْ عُوفِيتَ أَنْ أَحْمِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَالِي عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ وَهَذَا خَاتَمُكَ عَلَى الْكِيسِ مَا حَرَّكَهَا.

وَفَتَحَ الْكِيسَ الْآخَرَ وَكَانَ فِيهِ أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ، فَأَمَرَ أَنْ يُضَمَّ إِلَى الْبَدْرَةِ بَدْرَةً أُخْرَى، وَقَالَ لِي: احْمِلْ ذَلِكَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ وَارْدُدْ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَالْكِيسَ بِمَا فِيهِ، فَحَمَلْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ، وَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي عَزَّ عَلَيَّ بِدُخُولِ دَارِكَ بِغَيْرِ إِذْنِكَ وَلَكِنِّي مَأْمُورٌ بِهِ، فَقَالَ لِي: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾»[1].

والواقع أن الشيعة كانوا يحملون إلى الإمام الأموال ولكنهم كانوا قد أتقنوا أساليب الكتمان، وكانت لديهم عناصرهم في البلاط العباسي مما يجعلهم عارفين بمواقع الخطر وكيفية اجتنابها، والحديث التالي يكشف لنا جانباً من ذلك.

فعن الْمَنْصُورِيِّ عَنْ عَمِّ أَبِيهِ قَالَ: «دَخَلْتُ يَوْماً عَلَى الْمُتَوَكِّلِ وَهُوَ يَشْرَبُ، فَدَعَانِي إِلَى الشُّرْبِ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي! مَا شَرِبْتُهُ قَطُّ، قَالَ: أَنْتَ تَشْرَبُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لَيْسَ تَعْرِفُ مَنْ فِي يَدِكَ إِنَّمَا يَضُرُّكَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَمْ أُعِدْ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْماً مِنَ الْأَيَّامِ قَالَ لِيَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ: قَدْ ذَكَرَ الرَّجُلُ يَعْنِي الْمُتَوَكِّلَ خَبَرَ مَالٍ يَجِيءُ مِنْ قُمَّ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَرْصُدَهُ لِأُخْبِرَهُ لَهُ فَقُلْ لِي: مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ يَجِيءُ؟ حَتَّى أَجْتَنِبَهُ، فَجِئْتُ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ فَصَادَفْتُ عِنْدَهُ مَنْ أَحْتَشِمُهُ، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ لِي: **لَا يَكُونُ إِلَّا خَيْراً يَا أَبَا مُوسَى، لِمَ لَمْ تُعِدِ الرِّسَالَةَ الْأَوَّلَةَ؟** فَقُلْتُ: أَجْلَلْتُكَ يَا سَيِّدِي، فَقَالَ لِي: **الْمَالُ يَجِيءُ اللَّيْلَةَ وَلَيْسَ يَصِلُونَ إِلَيْهِ فَبِتْ عِنْدِي...**»[2].

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٩ - ٢٠٠.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٤ - ١٢٥.

الإمام بعد عهد المتوكل:

بعد أن قتل المتوكل بدعاء الإمام الهادي عليه السلام وبسبب مؤامرات قواته التركية، انقشعت عن آل أبي طالب والموالين لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله سحابة الإرهاب إذ كان المنتصر بن المتوكل يخالف أباه في كل شيء ويُظهر الحب والاحترام لآل الرسول وشيعتهم، حتى أنه عزل والي المدينة الذي نصبه أبوه واسمه صالح بن علي ونصّب مكانه علي بن الحسين، فدخل عليه يردعه فقال: «يا علي! إني أوجهك إلى لحمي ودمي، ومَدَّ جلد ساعده وقال: إلى هذا وجهتك فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم -يعني آل ابي طالب-»[1].

أما الخلفاء العباسيون الذين تعاقبوا بعد المتوكل وابنه المنتصر لم يكونوا في قوة المتوكل ولا في لين المنتصر، ولم نجد في التاريخ حوادث مهمة تتصل بحياة الإمام الهادي عليه السلام، الذي يبدو أنه تفرَّغ لتربية وقيادة الربانيين من العلماء وإدارة الشؤون العامة لمواليه وشيعته، كذلك في ملاحقة بعض الغلاة والمشعوذين الذين أرادوا التسلل إلى صفوف الخط الرسالي مثل الذي اغتاله بعض الموالين وربما بعد صدور الفتوى الشرعية بإعدامه!!

والكتاب التالي نموذج لمنهجية إدارة الإمام عليه السلام للشيعة، قال: «نُسْخَةُ الْكِتَابِ مَعَ ابْنِ رَاشِدٍ إِلَى جَمَاعَةِ الْمَوَالِي الَّذِينَ هُمْ بِبَغْدَادَ الْمُقِيمِينَ بِهَا وَالْمَدَائِنِ وَالسَّوَادِ وَمَا يَلِيهَا:

«أَحْمَدُ اللهَ إِلَيْكُمْ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ عَافِيَةٍ وَحُسْنِ عَائِدَتِهِ، وَأُصَلِّي عَلَى

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢١٠.

نَبِيِّهِ وَآلِهِ أَفْضَلَ صَلَوَاتِهِ وَأَكْمَلَ رَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ، وَإِنِّي أَقَمْتُ أَبَا عَلِيِّ بْنَ رَاشِدٍ مَقَامَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ وُكَلَائِي وَصَارَ فِي مَنْزِلَتِهِ عِنْدِي، وَوَلَّيْتُهُ مَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ غَيْرُهُ مِنْ وُكَلَائِي قَبْلَكُمْ، لِيَقْبِضَ حَقِّي وَارْتَضَيْتُهُ لَكُمْ، وَقَدَّمْتُهُ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ أَهْلُهُ وَمَوْضِعُهُ.

فَصِيرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَى الدَّفْعِ إِلَيْهِ ذَلِكَ وَإِلَيَّ، وَأَلَّا تَجْعَلُوا لَهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ عِلَّةً، فَعَلَيْكُمْ بِالْخُرُوجِ عَنْ ذَلِكَ وَالتَّسَرُّعِ إِلَى طَاعَةِ اللهِ وَتَحْلِيلِ أَمْوَالِكُمْ وَالْحَقْنِ لِدِمَائِكُمْ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، فَقَدْ أَوْجَبْتُ فِي طَاعَتِهِ طَاعَتِي، وَالْخُرُوجَ إِلَى عِصْيَانِهِ الْخُرُوجَ إِلَى عِصْيَانِي، فَالْزَمُوا الطَّرِيقَ يَأْجُرْكُمُ اللهُ وَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ بِمَا عِنْدَهُ وَاسِعٌ كَرِيمٌ مُتَطَوِّلٌ عَلَى عِبَادِهِ رَحِيمٌ، نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي وَدِيعَةِ اللهِ وَحِفْظِهِ. وَكَتَبْتُهُ بِخَطِّي وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيراً».

وفي كتاب آخر: «وَأَنَا آمُرُكَ -يَا أَيُّوبَ بْنَ نُوحٍ- أَنْ تَقْطَعَ الْإِكْثَارَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ، وَأَنْ يَلْزَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا مَا وُكِّلَ بِهِ وَأُمِرَ بِالْقِيَامِ فِيهِ بِأَمْرِ نَاحِيَتِهِ؛ فَإِنَّكُمْ إِنِ انْتَهَيْتُمْ إِلَى كُلِّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ اسْتَغْنَيْتُمْ بِذَلِكَ عَنْ مُعَاوَدَتِي. وَآمُرُكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ بِمِثْلِ مَا آمُرُكَ بِهِ يَا أَيُّوبُ أَلَّا تَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَالْمَدَائِنِ شَيْئاً يَحْمِلُونَهُ، وَلَا تَلِي لَهُمُ اسْتِيذَاناً عَلَيَّ، وَمُرْ مَنْ أَتَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ نَاحِيَتِكَ أَنْ يُصَيِّرَهُ إِلَى الْمُوَكَّلِ بِنَاحِيَتِهِ. وَآمُرُكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ بِمِثْلِ مَا أَمَرْتُ بِهِ أَيُّوبَ، وَلْيَقْبَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا مَا أَمَرْتُهُ بِهِ»[1].

وبالتالي وبعد ثلاثة وثلاثين عاماً من الإمامة، وقيادة طليعة

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢٣.

الأمة؛ أحضر الإمام الهادي عليه السلام نجله الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأوصى إليه، وأشهد خيرة الطائفة بذلك، واستعد للرحيل.

وفي الثالث من رجب وفي ملك المعتمد بالله فارقت روحه النقية الدنيا. ونُقِلَ عن العالم الكبير ابن بابويه أن المعتمد قد دَسَّ إليه السُّمَّ فمضى شهيداً!

وقال المسعودي: ولما تُوُفِّيَ اجتمع في داره جملة بني هاشم من الطالبيين والعباسيين، واجتمع خلق كثير من الشيعة، ثم فُتِحَ من صدر الدار باب وخرج خادم أسود، ثم خرج بعده أبو محمد الحسن العسكري حاسراً مكشوف الرأس، مشقوق الثياب، وكان وجهه وجه أبيه لا يُخطئ منه شيئاً، وأضاف: وكانت الدار كالسوق بالأحاديث، فلما خرج وجلس أمسك الناس وكنا لا نسمع إلّا العطسة والسعلة وقال: وصاحت سر من رأى يوم موته صيحة واحدة[1].

ويظهر من المسعودي أن وفاة الإمام كانت في عهد المعتمد الذي استهل بعام ٢٥٦هـ، وحيث كان أخوه الموفق الغالب على السلطة وهو الذي حضر جنازة الإمام، ويقول المسعودي في ذلك: ووثب إليه (الإمام الحسن العسكري) أبو أحمد الموفق فعانقه ثم قال له: «مرحباً يا ابن العم»[2].

وهكذا يظهر من الشيخ ابن بابويه الذي يرى أن المعتمد قد سَمَّ الإمام عليه السلام. وعلى هذا فلا بدَّ أن تكون وفاته بعد عام ٢٥٦هـ وليس كما قالوا عام (٢٥٤هـ)، ويظهر ذلك أيضاً من كشف الغمة إذ قال: وفي

(١) في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٤، ص ١٨٣.
(٢) في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٤، ص ١٨٣.

آخر ملك المعتمد استشهد مسموماً[1].

ولعل هناك اشتباهاً عند النُّسَّاخ بين المهتدي والمعتمد، إذ إن آخر ملك المعتمد يصادف عام ٢٧٩هـ، ولعل الذي استشهد في أيام المعتمد هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي استشهد عام ٢٦٠هـ، والله العالم.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١١٤.

الفصل الثَّالث

كراماتُهُ ومَكرُماتُهُ

كما اختار ربنا من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، اختار لهذه الأمة اثني عشر إماماً هادياً إليه بإذنه، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. أَوَلَيْسَ الله أعلم حيث يجعل رسالته؟ بلى. لذلك كان الإمام أفضل خلق الله في علم الله، ولذلك اصطفاه الله لهذا المنصب الإلهي العظيم!!

وهكذا كان الإمام عبداً لله قد وَقَرَ قلبه الإيمان بالله ومعرفته، أحب الله، والتسليم له فأحبه الله، ورفعه مقاماً عليًّا، وكان عند ربه مرضيًّا.

وما الكرامات التي ظهرت على يديه إلَّا آية بَيِّنة لمدى حب الله له، وبالتالي لمدى حبه لله، وتسليمه له ورضاه بما قدَّر له وقضى.

لقد كان للإمام الهادي عليه السلام ذِكراً يبدو أنه كان يكرره، وقد علَّمهُ لشيعته وقال: هَذَا الدُّعَاءُ كَثِيراً أَدْعُو اللهَ بِهِ، وَقَدْ سَأَلْتُ اللهَ أَلَّا يُخَيِّبَ مَنْ دَعَا بِهِ فِي مَشْهَدِي بَعْدِي، وَهُوَ:

«يَا عُدَّتِي عِنْدَ الْعُدَدِ، وَيَا رَجَائِي وَالْمُعْتَمَدُ، وَيَا كَهْفِي وَالسَّنَدُ، وَيَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِحَقِّ مَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ وَلَمْ تَجْعَلْ فِي خَلْقِكَ مِثْلَهُمْ أَحَداً؛ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ وَتَفْعَلَ بِي كَيْتَ وَكَيْت»[1].

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٧.

هذا الذكر هو عنوان صفات الإمام، ومفتاح معرفته فهو عبد أخلص العبودية لله، فكان مثلاً لما جاء في الحديث القدسي: «عَبْدِيْ أَطِعْنِيْ تَكُنْ مِثْلِيْ -أَوْ مَثَلِيْ- أَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُوْنُ وَتَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُوْنُ».

إنه عبد أطاع الله فطوع الله له الأشياء: إنه خاف ربه فأخاف الله منه كل شيء.

ولابد أن نجعل كرامات أهل البيت عليهم السلام في هذا الإطار، وهو الإطار المناسب الذي وضعوا فيه أنفسهم وعلمهم وكرامتهم على الله، فمثلاً عندما أظهر الله على يد الإمام الهادي عليه السلام بعض آياته ولم يتحمله بعض مواليه، فدخله وسواس الشيطان فبادره الإمام عليه السلام برفع اللبس عنه، وقال له: «وَأَمَّا الَّذِي اخْتَلَجَ فِي صَدْرِكَ فَإِنْ شَاءَ الْعَالِمُ أَنْبَأَكَ، إِنَّ اللهَ لَمْ يُظْهِرْ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ، فَكُلُّ مَا كَانَ عِنْدَ الرَّسُولِ كَانَ عِنْدَ الْعَالِمِ، وَكُلُّ مَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَقَدِ اطَّلَعَ أَوْصِيَاؤُهُ عَلَيْهِ كَيْلَا تَخْلُوَ أَرْضُهُ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَجَوَازِ عَدَالَتِه.

يَا فَتْحُ! عَسَى الشَّيْطَانُ أَرَادَ اللَّبْسَ عَلَيْكَ فَأَوْهَمَكَ فِي بَعْضِ مَا أَوْدَعْتُكَ وَشَكَّكَ فِي بَعْضِ مَا أَنْبَأْتُكَ، حَتَّى أَرَادَ إِزَالَتَكَ عَنْ طَرِيقِ اللهِ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ. فَقُلْتُ: مَتَى أَيْقَنْتَ أَنَّهُمْ كَذَا فَهُمْ أَرْبَابٌ مَعَاذَ اللهِ، إِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ مُطِيعُونَ للهِ دَاخِرُونَ رَاغِبُونَ. فَإِذَا جَاءَكَ الشَّيْطَانُ مِنْ قِبَلِ مَا جَاءَكَ فَاقْمَعْهُ بِمَا أَنْبَأْتُكَ بِه.

فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! فَرَّجْتَ عَنِّي وَكَشَفْتَ مَا لَبَسَ الْمَلْعُونُ عَلَيَّ بِشَرْحِكَ، فَقَدْ كَانَ أَوْقَعَ فِي خَلَدِي أَنَّكُمْ أَرْبَابٌ، قَالَ: فَسَجَدَ أَبُو

الحسن عليه السلام وهو يقول في سجوده: راغماً لك يا خالقي ذاخراً خاضعاً قال: فلم يزل كذلك حتى ذهب ليلي»[1].

وهكذا كانت الكرامات التي نتلوها عليك بفضل هذه الصلة الوثيقة بين الإمام وبين ربه سبحانه، وكذلك كان الذين اتبعوه مخلصين العبودية لله، من العلماء الربانيين والمجاهدين الصابرين فإن الله لا يضيع أجر من عمل صالحاً منهم، وإن الله ينصرهم في الدنيا كما في الآخرة وقد قال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[3].

وهكذا نجد كيف يدعو الإمام للمؤمنين وكيف يتستجيب الله له دعاءه في حقهم.

لقد كان يُونُسُ النَّقَّاشُ يَغْشَى سَيِّدَنَا الْإِمَامَ عليه السلام وَيَخْدُمُهُ، فَجَاءَهُ يَوْماً يَرْعُدُ فَقَالَ: يَا سَيِّدِي! أُوصِيكَ بِأَهْلِي خَيْراً، قَالَ: وَمَا الْخَبَرُ؟ قَالَ: عَزَمْتُ عَلَى الرَّحِيلِ، قَالَ: وَلِمَ يَا يُونُسُ؟ وَهُوَ عليه السلام مُتَبَسِّمٌ، قَالَ: قَالَ مُوسَى بْنُ بغا وَجَّهَ إِلَيَّ بِفَصٍّ لَيْسَ لَهُ قِيمَةٌ أَقْبَلْتُ أَنْ أَنْقُشَهُ فَكَسَرْتُهُ بِاثْنَيْنِ، وَمَوْعِدُهُ غَداً، وَهُوَ مُوسَى بْنُ بغا إِمَّا أَلْفُ سَوْطٍ أَوِ الْقَتْلُ، قَالَ: امْضِ إِلَى مَنْزِلِكَ إِلَى غَدٍ فَمَا يَكُونُ إِلَّا خَيْراً.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وَافَى بُكْرَةً يَرْعُدُ فَقَالَ: قَدْ جَاءَ الرَّسُولُ يَلْتَمِسُ الْفَصَّ، قَالَ: امْضِ إِلَيْهِ فَمَا تَرَى إِلَّا خَيْراً، قَالَ: وَمَا أَقُولُ لَهُ يَا سَيِّدِي؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ، وَقَالَ: امْضِ إِلَيْهِ وَاسْمَعْ مَا يُخْبِرُكَ بِهِ، فَلَنْ يَكُونَ إِلَّا خَيْراً.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٩.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.

قَالَ: فَمَضَى وَعَادَ يَضْحَكُ قَالَ: قَالَ لِي يَا سَيِّدِي: الْجَوَارِي اخْتَصَمْنَ فَيُمْكِنُكَ أَنْ تَجْعَلَهُ فَصَّيْنِ؛ حَتَّى نُغْنِيَكَ، فَقَالَ سَيِّدُنَا الْإِمَامُ عليه السلام: **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ إِذْ جَعَلْتَنَا مِمَّنْ يَحْمَدُكَ حَقًّا فَأَيْشِ قُلْتُ لَهُ؟** قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَمْهِلْنِي حَتَّى أَتَأَمَّلَ أَمْرَهُ كَيْفَ أَعْمَلُهُ، فَقَالَ أَصَبْتَ»[1].

وكان محمد بن الفرج واحداً من المجاهدين الصابرين الذين كتب إليه الإمام يحذره من بلاء وشيك يقول:

«إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ كَتَبَ إِلَيَّ: أَجْمِعْ أَمْرَكَ وَخُذْ حِذْرَكَ قَالَ: فَأَنَا فِي جَمْعِ أَمْرِي لَسْتُ أَدْرِي مَا الَّذِي أَرَادَ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ، حَتَّى وَرَدَ عَلَيَّ رَسُولٌ حَمَلَنِي مِنْ مِصْرَ مُقَيَّداً مُصَفَّداً بِالْحَدِيدِ، وَضَرَبَ عَلَى كُلِّ مَا أَمْلِكُ.

فَمَكَثْتُ فِي السِّجْنِ ثَمَانِيَ سِنِينَ، ثُمَّ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابٌ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام وَأَنَا فِي الْحَبْسِ: «**لَا تَنْزِلْ فِي نَاحِيَةِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ**»، فَقَرَأْتُ الْكِتَابَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: يَكْتُبُ إِلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام بِهَذَا وَأَنَا فِي الْحَبْسِ إِنَّ هَذَا لَعَجِيبٌ، فَمَا مَكَثْتُ إِلَّا أَيَّاماً يَسِيرَةً حَتَّى أُفْرِجَ عَنِّي وَخُلِّيَتْ قُيُودِي وَخُلِّيَ سَبِيلِي.

وَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْعِرَاقِ لَمْ يَقِفْ بِبَغْدَادَ لِمَا أَمَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام وَخَرَجَ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى»[2].

وكان الإمام يهتم بتأديب شيعته مثلما يهتم بقضاء حوائجهم، ومن ذلك قصة يرويها لنا أبو هاشم الجعفري ويقول: «أَصَابَتْنِي ضِيقَةٌ شَدِيدَةٌ فَصِرْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَأَذِنَ لِي، فَلَمَّا جَلَسْتُ قَالَ: **يَا أَبَا هَاشِمٍ! أَيُّ نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ تُرِيدُ أَنْ تُؤَدِّيَ شُكْرَهَا؟**

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٦.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٠.

قَالَ أَبُو هَاشِم: فَوَجَمْتُ فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ لَهُ.

فَابْتَدَأَ عليه السلام فَقَالَ: **رَزَقَكَ الْإِيمَانَ فَحَرَّمَ بَدَنَكَ عَلَى النَّارِ، وَرَزَقَكَ الْعَافِيَةَ فَأَعَانَتْكَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَرَزَقَكَ الْقُنُوعَ فَصَانَكَ عَنِ التَّبَذُّلِ، يَا أَبَا هَاشِم! إِنَّمَا ابْتَدَأْتُكَ بِهَذَا لِأَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَشْكُوَ لِي مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ دِينَارٍ فَخُذْهَا**»[1].

ويبدو أن عمله عليه السلام كان مشروطاً بالتزامهم بفرائض الدين، وهكذا يحكي لنا أبو محمد الطبري قصته مع خاتم حصل عليه بفضل الإمام ويقول: «تَمَنَّيْتُ أَنْ يَكُونَ لِي خَاتَمٌ مِنْ عِنْدِهِ عليه السلام، فَجَاءَنِي نَصْرٌ الْخَادِمُ بِدِرْهَمَيْنِ فَصُغْتُ خَاتَمًا، فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ فَتَعَلَّقُوا بِي حَتَّى شَرِبْتُ قَدَحاً أَوْ قَدَحَيْنِ، فَكَانَ الْخَاتَمُ ضَيِّقاً فِي إِصْبَعِي لَا يُمْكِنُنِي إِدَارَتُهُ لِلْوُضُوءِ، فَأَصْبَحْتُ وَقَدِ افْتَقَدْتُهُ، فَتُبْتُ إِلَى اللهِ»[2].

إن ولاء الإنسان لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله إذا كان خالصاً لوجه الله، يكون وسيلة لهدايته وسعادته. والقصة التالية تعكس مدى صدق هذه الحقيقة:

«حَدَّثَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ أَصْفَهَانَ مِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ النَّضْرِ وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِيَّةَ، قَالُوا: كَانَ بِأَصْفَهَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ وَكَانَ شِيعِيًّا قِيلَ لَهُ: مَا السَّبَبُ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيْكَ الْقَوْلَ بِإِمَامَةِ عَلِيٍّ النَّقِيِّ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ. قَالَ: شَاهَدْتُ مَا أَوْجَبَ عَلَيَّ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا فَقِيراً وَكَانَ لِي لِسَانٌ وَجُرْأَةٌ فَأَخْرَجَنِي أَهْلُ أَصْفَهَانَ سَنَةً مِنَ السِّنِينَ مَعَ قَوْمٍ آخَرِينَ إِلَى بَابِ الْمُتَوَكِّلِ مُتَظَلِّمِينَ.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٩.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٥٥.

فكُنَّا بِبَابِ الْمُتَوَكِّلِ يَوْماً إِذْ خَرَجَ الْأَمْرُ بِإِحْضَارِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الرِّضَا عليه السلام، فَقُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ حَضَرَ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ أُمِرَ بِإِحْضَارِهِ؟ فَقِيلَ: هَذَا رَجُلٌ عَلَوِيٌّ تَقُولُ الرَّافِضَةُ بِإِمَامَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَيُقَدَّرُ أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ يَحْضُرُهُ لِلْقَتْلِ، فَقُلْتُ: لَا أَبْرَحُ مِنْ هَاهُنَا حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ أَيُّ رَجُلٍ هُوَ؟

قَالَ: فَأَقْبَلَ رَاكِباً عَلَى فَرَسٍ وَقَدْ قَامَ النَّاسُ يَمْنَةَ الطَّرِيقِ وَيَسْرَتَهَا صَفَّيْنِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَقَعَ حُبُّهُ فِي قَلْبِي، فَجَعَلْتُ أَدْعُو فِي نَفْسِي بِأَنْ يَدْفَعَ اللهُ عَنْهُ شَرَّ الْمُتَوَكِّلِ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى عُرْفِ دَابَّتِهِ لَا يَنْظُرُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، وَأَنَا دَائِمُ الدُّعَاءِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَيَّ وَقَالَ: **اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَكَ وَطَوَّلَ عُمْرَكَ وَكَثَّرَ مَالَكَ وَوُلْدَكَ**، قَالَ: فَارْتَعَدْتُ وَوَقَعْتُ بَيْنَ أَصْحَابِي، فَسَأَلُونِي وَهُمْ يَقُولُونَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقُلْتُ: خَيْرٌ، وَلَمْ أُخْبِرْ بِذَلِكَ.

فَانْصَرَفْنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْفَهَانَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيَّ وُجُوهاً مِنَ الْمَالِ حَتَّى أَنَا الْيَوْمَ أُغْلِقُ بَابِي عَلَى مَا قِيمَتُهُ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ سِوَى مَالِي خَارِجَ دَارِي، وَرُزِقْتُ عَشَرَةً مِنَ الْأَوْلَادِ، وَقَدْ بَلَغْتُ الْآنَ مِنْ عُمُرِي نَيِّفاً وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَأَنَا أَقُولُ بِإِمَامَةِ الرَّجُلِ عَلَى الَّذِي عَلِمَ مَا فِي قَلْبِي، وَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ فِيَّ وَلِي»[1].

هكذا استجاب ربنا سبحانه دعاء وليّه الكريم الإمام الهادي عليه السلام في حق واحد من سائر الناس أحبه وأشفق عليه من ظلم السلطان، وبالرغم من أنه لم يكن من مواليه وشيعته من قبل، في حين نجد أخاه موسى بن محمد ينوي الإضرار بالدين؛ فيدعو عليه ويستجيب الله

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤١ - ١٤٢.

دعاءه فيه، ألا يدلّنا ذلك على أنه عليه السلام كسائر الأنبياء والأوصياء والصديقين يعملون لمرضاة ربهم والله يؤيدهم لأنهم ينصرون دينه، وهكذا كل من نصر دين الله نصره الله سبحانه.

تعالوا نستمع قصة موسى هذا الذي عُرِفَ بـ(موسى المبرقع)؛ لكي نعرف أن أولياء الله المرضيين لا تأخذهم في دينه لومة لائم.

رُوِي عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: «كَانَ الْمُتَوَكِّلُ يَقُولُ: وَيْحَكُمْ! قَدْ أَعْيَانِي أَمْرُ ابْنِ الرِّضَا وَجَهَدْتُ أَنْ يَشْرَبَ مَعِي وَيُنَادِمَنِي فَامْتَنَعَ، وَجَهَدْتُ أَنْ آخُذَ فُرْصَةً فِي هَذَا الْمَعْنَى فَلَمْ أَجِدْهَا، فَقَالُوا لَهُ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنِ ابْنِ الرِّضَا مَا تُرِيدُهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَهَذَا أَخُوهُ مُوسَى قَصَافٌ عَزَّافٌ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَتَعَشَّقُ، قَالَ: ابْعَثُوا إِلَيْهِ وَجِيئُوا بِهِ حَتَّى نُمَوِّهَ بِهِ عَلَى النَّاسِ وَنَقُولَ: ابْنُ الرِّضَا.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَأَشْخَصَ مُكَرَّماً وَتَلَقَّاهُ جَمِيعُ بَنِي هَاشِمٍ وَالْقُوَّادُ وَالنَّاسُ، عَلَى أَنَّهُ إِذَا وَافَى أَقْطَعَهُ قَطِيعَةً وَبَنَى لَهُ فِيهَا، وَحَوَّلَ الْخَمَّارِينَ وَالْقِيَانَ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ وَبَرَّهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَنْزِلاً سَرِيّاً حَتَّى يَزُورَهُ هُوَ فِيهِ.

فَلَمَّا وَافَى مُوسَى تَلَقَّاهُ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام فِي قَنْطَرَةِ وَصِيفٍ، وَهُوَ مَوْضِعٌ يَتَلَقَّى فِيهِ الْقَادِمُونَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَوَفَّاهُ حَقَّهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: **إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَحْضَرَكَ لِيَهْتِكَكَ وَيَضَعَ مِنْكَ فَلَا تُقِرَّ لَهُ أَنَّكَ شَرِبْتَ نَبِيذاً قَطُّ**، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: فَإِذَا كَانَ دَعَانِي لِهَذَا فَمَا حِيلَتِي؟ قَالَ: **فَلَا تَضَعْ مِنْ قَدْرِكَ وَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّمَا أَرَادَ هَتْكَكَ**، فَأَبَى عَلَيْهِ فَكَرَّرَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَالْوَعْظَ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى خِلَافِهِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُجِيبُ قَالَ: **أَمَا إِنَّ هَذَا مَجْلِسٌ لَا تَجْتَمِعُ أَنْتَ وَهُوَ عَلَيْهِ أَبَداً**.

فَأَقَامَ مُوسَى ثَلَاثَ سِنِينَ يُبَكَّرُ كُلَّ يَوْمٍ فَيُقَالُ: قَدْ تَشَاغَلَ الْيَوْمَ

فَرُحْ، فَيَرُوحُ فَيُقَالُ: قَدْ سَكِرَ فَبَكِّرْ فَيُبَكِّرُ، فَيُقَالُ: قَدْ شَرِبَ دَوَاءً، فَمَا زَالَ عَلَى هَذَا ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى قُتِلَ الْمُتَوَكِّلُ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مَعَهُ عَلَيْهِ»[1].

علم الإمام:

لقد تحدثنا بإيجاز حول علم الإمام عندما تحدَّثنا عن حياة الإمام الباقر عليه السلام، وقلنا: إن علم الأئمة عليهم السلام بالغيب ليس علماً ذاتيًا بل بما أعطاهم الله سبحانه وبالقدر الذي شاءت حكمته، وبطرق شتى، أَبْرَزُهَا تَوَارُثُ العلم عن النبي وعبر آبائهم الطاهرين.

وقد جاء في الحديث عن الإمام الهادي عليه السلام تأكيد على ذلك حيث قال: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يُظْهِرْ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ، فَكُلُّ مَا كَانَ عِنْدَ الرَّسُولِ كَانَ عِنْدَ الْعَالِمِ، وَكُلُّ مَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَقَدِ اطَّلَعَ أَوْصِيَاؤُهُ عَلَيْهِ؛ كَيْلَا تَخْلُوَ أَرْضُهُ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَجَوَازِ عَدَالَتِهِ**»[2].

ومن أبعاد علمه عليه السلام إلهام الله له حسبما تقتضيه حكمته البالغة، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾[3].

وهكذا كان الإمام يعلم اللغات المختلفة بإلهام الله، وقد استفاضت الروايات التي تهدينا إلى علم الأئمة بذلك.

كذلك روي عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ قَالَ: «أَرْسَلْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِثِ عليه السلام غُلَامِي، وَكَانَ صِقْلَابِيًّا، فَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَيَّ مُتَعَجِّباً، فَقُلْتُ

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٥٨ - ١٦٠.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٩.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٧٥.

لَهُ: مَا لَكَ يَا بُنَيَّ؟ قَالَ: وَكَيْفَ لَا أَتَعَجَّبُ، مَا زَالَ يُكَلِّمُنِي بِالصَّقَالَبِيَّةِ كَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنَّا. فَظَنَنْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا اللِّسَانِ كَيْلَا يَسْمَعَ بَعْضُ الْغِلْمَانِ مَا دَارَ بَيْنَهُمْ»[1].

وفي ذلك روايات أخرى تدل على علمهم بسائر اللغات الفارسية والتركية وما أشبه.

وكان يُنَبِّئُ الناس بما يحدث في المستقبل بتعليم الله، كما حدث بالنسبة إلى موت الواثق.

عَنْ خَيْرَانَ الْأَسْبَاطِيِّ قَالَ: «قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فَقَالَ لِي: **مَا فَعَلَ الْوَاثِقُ؟**

قُلْتُ: هُوَ فِي عَافِيَةٍ.

قَالَ: **وَمَا يَفْعَلُ جَعْفَرٌ؟**

قُلْتُ: تَرَكْتُهُ أَسْوَأَ النَّاسِ حَالًا فِي السِّجْنِ.

قَالَ: **وَمَا يَفْعَلُ ابْنُ الزَّيَّاتِ؟**

قُلْتُ: الْأَمْرُ أَمْرُهُ وَأَنَا مُنْذُ عَشَرَةِ أَيَّامٍ خَرَجْتُ مِنْ هُنَاكَ.

قَالَ: **مَاتَ الْوَاثِقُ وَقَدْ قَعَدَ الْمُتَوَكِّلُ جَعْفَرٌ وَقُتِلَ ابْنُ الزَّيَّاتِ.**

قُلْتُ: مَتَى؟

قَالَ: **بَعْدَ خُرُوجِكَ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ**، وَكَانَ كَذَلِكَ»[2].

وكذلك إخباره بموت المتوكل حيث دعا عليه وأخبر المقربين

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٩١.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٥١.

إليه أنه يهلك خلال أيام ثلاثة.

وحينما حمله قائد المتوكل إلى سر من رأى أخذ حذره وأخذ لبابيد وبرانس احتياطاً لما كان يتوقعه في الطريق من عواصف ثلجية أيام الصيف ولم تكن متوقعة أبداً، ولكنها وقعت وقتلت طائفة من الجنود المرافقين له وبقي الإمام عليه السلام سالماً بفضل الله[1].

وتجلّى علمه في احتجاجه على يحيى بن أكثم، الذي كان المقدّم بين علماء عصره عند الخليفة، فطلب منه إحضار أسئلة صعبة لإحراجه، وسوف نذكر القصة في فصل آتٍ.

وقد وعظ شابًا كان يُبالغ في الضحك وأخبره بقرب وفاته، وكان كذلك:

قالوا: «حَدَثَ لِبَعْضِ أَوْلَادِ الْخَلِيفَةِ وَلِيمَةٌ فَدَعَانَا فِيهَا وَدَعَا أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام مَعَنَا، فَدَخَلْنَا فَلَمَّا رَأَوْهُ أَنْصَتُوا إِجْلَالًا لَهُ، وَجَعَلَ شَابٌّ فِي الْمَجْلِسِ لَا يُوَقِّرُهُ وَجَعَلَ يَلْغَطُ وَيَضْحَكُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: **يَا هَذَا! تَضْحَكُ مِلْءَ فِيكَ وَتَذْهَلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَأَنْتَ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ؟!** قَالَ: فَقُلْنَا هَذَا دَلِيلٌ حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَكُونُ.

قَالَ: فَأَمْسَكَ الْفَتَى وَكَفَّ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، وَطَعِمْنَا وَخَرَجْنَا، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ يَوْمٍ اعْتَلَّ الْفَتَى، وَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَدُفِنَ فِي آخِرِهِ»[2].

وفي خبر مشابه حدَّث به سعيد بن سهل البصري قال: «اجْتَمَعْنَا

(١) انظر: بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٢ - ١٤٤.
(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٣.

أَيضاً فِي وَلِيمَةٍ لِبَعْضِ أَهْلِ سُرَّ مَنْ رَأَى، وَأَبُو الْحَسَنِ عليه السلام مَعَنَا فَجَعَلَ رَجُلٌ يَعْبَثُ وَيَمْزَحُ وَلَا يَرَى لَهُ جَلَالَةً، فَأَقْبَلَ عَلَى جَعْفَرٍ فَقَالَ: **أَمَا إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ وَسَوْفَ يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ خَبَرِ أَهْلِهِ مَا يُنَغِّصُ عَلَيْهِ عَيْشَهُ**، قَالَ: فَقُدِّمَتِ الْمَائِدَةُ قَالَ جَعْفَرٌ: لَيْسَ بَعْدَ هَذَا خَبَرٌ قَدْ بَطَلَ قَوْلُهُ، فَوَاللهِ لَقَدْ غَسَلَ الرَّجُلُ يَدَهُ وَأَهْوَى إِلَى الطَّعَامِ، فَإِذَا غُلَامُهُ قَدْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الْبَيْتِ يَبْكِي وَقَالَ لَهُ: الْحَقْ أُمَّكَ فَقَدْ وَقَعَتْ مِنْ فَوْقِ الْبَيْتِ، وَهِيَ بِالْمَوْتِ، قَالَ جَعْفَرٌ: فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا وَقَفْتُ بَعْدَ هَذَا وَقَطَعْتُ عَلَيْهِ»[1].

وآخر مكرمة ننقلها عنه عليه السلام تلك التي ينقلها الرواة حول تلّ المخالي حيث سعى المتوكل لإرهاب معارضيه بما يملك من قوة عسكرية، «فَأَمَرَ الْعَسْكَرَ -وَهُمْ تِسْعُونَ أَلْفَ فَارِسٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ السَّاكِنِينَ بِسُرَّ مَنْ رَأَى- أَنْ يَمْلَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِخْلَاةَ فَرَسِهِ مِنَ الطِّينِ الْأَحْمَرِ وَيَجْعَلُوا بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فِي وَسَطِ تُرْبَةٍ وَاسِعَةٍ هُنَاكَ، فَفَعَلُوا فَلَمَّا صَارَ مِثْلَ جَبَلٍ عَظِيمٍ، وَاسْمُهُ تَلُّ الْمَخَالِي، صَعِدَ فَوْقَهُ وَاسْتَدْعَى أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام وَاسْتَصْعَدَهُ، وَقَالَ: اسْتَحْضَرْتُكَ لِنَظَارَةِ خُيُولِي، وَقَدْ كَانَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوا التَّجَافِيفَ، وَيَحْمِلُوا الْأَسْلِحَةَ، وَقَدْ عَرَضُوا بِأَحْسَنِ زِينَةٍ وَأَتَمِّ عُدَّةٍ وَأَعْظَمِ هَيْبَةٍ، وَكَانَ غَرَضُهُ أَنْ يَكْسِرَ قَلْبَ كُلِّ مَنْ يَخْرُجُ عَلَيْهِ، وَكَانَ خَوْفُهُ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام أَنْ يَأْمُرَ أَحَداً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَنْ يَخْرُجَ عَلَى الْخَلِيفَةِ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: **وَهَلْ أَعْرِضُ عَلَيْكَ عَسْكَرِي**؟ قَالَ: نَعَمْ، فَدَعَا اللهَ سُبْحَانَهُ فَإِذَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مَلَائِكَةٌ مُدَجَّجُونَ، فَغُشِيَ عَلَى الْخَلِيفَةِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام:

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٣.

نَحْنُ لَا نُنَافِسُكُمْ فِي الدُّنْيَا، نَحْنُ مُشْتَغِلُونَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ، فَلَا عَلَيْكَ شَيْءٌ مِمَّا تَظُنُّ»[1].

كرمه وجوده:

وكان عليه السلام من أهل بيت عادتهم الإحسان وسجيتهم الكرم.

جاء في التاريخ: «دَخَلَ أَبُو عَمْرٍو، وعُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَشْعَرِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الْهَمْدَانِيُّ؛ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ، فَشَكَا إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ دَيْناً عَلَيْهِ فَقَالَ: **يَا أَبَا عَمْرٍو -وَكَانَ وَكِيلَهُ- ادْفَعْ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَإِلَى عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَخُذْ أَنْتَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ**. فَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا الْمُلُوكُ، وَمَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَذَا الْعَطَاءِ»[2].

والقصة التالية تعكس قمة الإيثار عند الإمام عليه السلام حيث سعى لقضاء حاجةٍ واحدةٍ من مواليه بطريقة عجيبة. دعنا نستمع إلى التاريخ يروي لنا قصته بكل عظمة:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ: «خَرَجَ عليه السلام يَوْماً مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى إِلَى قَرْيَةٍ لَهُمْ عَرَضَ لَهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ يَطْلُبُهُ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ ذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ فَقَصَدَهُ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ: **مَا حَاجَتُكَ؟**

فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَعْرَابِ الْكُوفَةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِوَلَايَةِ جَدِّكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَقَدْ رَكِبَنِي دَيْنٌ فَادِحٌ أَثْقَلَنِي حَمْلُهُ وَلَمْ أَرَ مَنْ أَقْصِدُهُ لِقَضَائِهِ سِوَاكَ.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٥٥ ١٥٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٣.

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ: **طِبْ نَفْساً وَقَرَّ عَيْناً، ثُمَّ أَنْزَلَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: أُرِيدُ مِنْكَ حَاجَةً؛ اللهَ اللهَ أَنْ تُخَالِفَنِي فِيهَا.**

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا أُخَالِفُكَ، فَكَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام وَرَقَةً بِخَطِّهِ مُعْتَرِفاً فِيهَا أَنَّ عَلَيْهِ لِلْأَعْرَابِيِّ مَالًا عَيَّنَهُ فِيهَا يَرْجَحُ عَلَى دَيْنِهِ، وَقَالَ: خُذْ هَذَا الْخَطَّ، فَإِذَا وَصَلْتُ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى احْضُرْ إِلَيَّ وَعِنْدِي جَمَاعَةٌ، فَطَالِبْنِي بِهِ وَأَغْلِظِ الْقَوْلَ عَلَيَّ فِي تَرْكِ إِبْقَائِكَ إِيَّاهُ، اللهَ اللهَ فِي مُخَالَفَتِي، فَقَالَ: أَفْعَلُ. وَأَخَذَ الْخَطَّ.

فَلَمَّا وَصَلَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى وَحَضَرَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْخَلِيفَةِ وَغَيْرِهِمْ، حَضَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَأَخْرَجَ الْخَطَّ وَطَالَبَهُ وَقَالَ كَمَا أَوْصَاهُ؛ فَأَلَانَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام لَهُ الْقَوْلَ وَرَفَقَهُ وَجَعَلَ يَعْتَذِرُ وَوَعَدَهُ بِوَفَائِهِ وَطِيبَةِ نَفْسِهِ، فَنُقِلَ ذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ فَأَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

فَلَمَّا حُمِلَتْ إِلَيْهِ تَرَكَهَا إِلَى أَنْ جَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ: **خُذْ هَذَا الْمَالَ وَاقْضِ مِنْهُ دَيْنَكَ وَأَنْفِقِ الْبَاقِيَ عَلَى عِيَالِكَ وَأَهْلِكَ وَأَعْذِرْنَا**، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! وَاللهِ إِنَّ أَمَلِي كَانَ يَقْصُرُ عَنْ ثُلُثِ هَذَا، وَلَكِنَّ اللهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ. وَأَخَذَ الْمَالَ وَانْصَرَفَ»[1].

تعالوا نتعلّم من أئمتنا الإيثار والكرم، فليس الكرم مجرد الإنفاق إنما السعي لقضاء الحاجة بكل وسيلة ممكنة وحتى ولو كانت في ذلك غضاضة على النفس.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٥.

وتُذكّرني قصة الإمام هذه بما رُوي عن أحد الأنبياء العظام الذي جاءه صاحب حاجة، وطلب منه مالاً ولم يكن يملك شيئاً، فقال له خذني وبعني في سوق النخاسين كما لو كنت عبداً لك وخذ الثمن واقض حاجتك به، وفعل الرجل ولكن الذي اشترى النبي عرفه بالتالي فتركه. وبهذه الطريقة التي تفيض إيثاراً وكرماً وجوداً علّمنا قادتنا كيف نُحسن إلى بعضنا، وننفق مما نملك ونسعى لامتلاك ما نفقده بهدف قضاء حوائج الناس.

الفصل الرابع

كَلِماتُهُ المُضِيئَةُ

لقد بلغ مذهب أهل البيت عليهم السلام مرحلة النضج في عهد الإمام الهادي عليه السلام، إلّا أنه كان يُهدِّده خطر التطرف الذي تسرَّب إلى بعض المسلمين عبر الثقافات المستوردة من الشرق، كما أنه كان بحاجة إلى مزيد من الدفع الإيماني حتى لا تهبط الروح المعنوية عند البعض بسبب دعايات الأعداء وبالذات الخلفاء العباسيين الذين لم يعرفوا مقام الأئمة فنسبوا إليهم أو إلى شيعتهم الغلو والغنوص، وهكذا احتياج المذاهب إلى نصوص جامعة تكون بمثابة دروس توجيهية تتضمن أصول العقائد بلا زيادة أو نقصان.

وهكذا جاءت زيارة الجامعة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام التي تجعل الأئمة في مقامهم الأسمى بعيداً عن الغنوص والغلو.

دعنا نتدبر في بعض كلماتها المضيئة التي تعتبر أفضل وسيلة لتكريس حبهم في النفس؛ ذلك الحب الذي يُعتبر امتداداً لحب المؤمن لربه، وليس بديلاً عنه.

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزَّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ، وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ

الْأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ، وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ، وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى، وَذَوِي النُّهَى، وَأُولِي الْحِجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنَى، وَحُجَجِ اللهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ، وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللهِ، وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ، وَالْأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ، وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللهِ، وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ، وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ»[1].

وقال عليه السلام ينصح بعض مواليه: «يَا فَتْحُ! مَنْ أَطَاعَ الْخَالِقَ لَمْ يُبَالِ بِسَخَطِ الْمَخْلُوقِ، وَمَنْ أَسْخَطَ الْخَالِقَ فَأَيْقَنَ [فَلْيُوقِنْ] أَنْ يُحِلَّ بِهِ الْخَالِقُ سَخَطَ الْمَخْلُوقِ، وَإِنَّ الْخَالِقَ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَنَّى يُوصَفُ الْخَالِقُ الَّذِي يَعْجِزُ الْحَوَاسُّ أَنْ تُدْرِكَهُ وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ وَالْخَطَرَاتُ أَنْ تَحُدَّهُ وَالْأَبْصَارُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ».

«جَلَّ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ وَتَعَالَى عَمَّا يَنْعَتُهُ النَّاعِتُونَ، نَأَى فِي قُرْبِهِ وَقَرُبَ فِي نَأْيِهِ؛ فَهُوَ فِي نَأْيِهِ قَرِيبٌ وَفِي قُرْبِهِ بَعِيدٌ. كَيَّفَ الْكَيْفَ فَلَا يُقَالُ كَيْفَ، وَأَيَّنَ الْأَيْنَ فَلَا يُقَالُ أَيْنَ؛ إِذْ هُوَ مُنْقَطِعُ الْكَيْفِيَّةِ وَالْأَيْنِيَّةِ»[2].

(١) زيارة الجامعة في كتاب الأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة (ص ١٢٣ للسيد عبد الله شبر.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

وقال عليه السلام: «مَنِ اتَّقَى اللهَ يُتَّقَى، وَمَنْ أَطَاعَ اللهَ يُطَاعُ، وَمَنْ أَطَاعَ الْخَالِقَ لَمْ يُبَالِ سَخَطَ الْمَخْلُوقِينَ، وَمَنْ أَسْخَطَ الْخَالِقَ فَقَمِنَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ سَخَطُ الْمَخْلُوقِين، مَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ وَأَلِيمِ أَخْذِهِ تَكَبَّرَ حَتَّى يَحُلَّ بِهِ قَضَاؤُهُ وَنَافِذُ أَمْرِهِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَلَوْ قُرِضَ وَنُشِرَ، الشَّاكِرُ أَسْعَدُ بِالشُّكْرِ مِنْهُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي أَوْجَبَتِ الشُّكْرَ لِأَنَّ النِّعَمَ مَتَاعٌ وَالشُّكْرَ نِعَمٌ وَعُقْبَى، إِنَّ اللهَ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ بَلْوَى وَالْآخِرَةَ دَارَ عُقْبَى وَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنْيَا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ سَبَباً وَثَوَابَ الْآخِرَةِ مِنْ بَلْوَى الدُّنْيَا عِوَضاً، إِنَّ الظَّالِمَ الْحَالِمَ يَكَادُ أَنْ يُعْفَى عَلَى ظُلْمِهِ بِحِلْمِهِ وَإِنَّ الْمُحِقَّ السَّفِيهَ يَكَادُ أَنْ يُطْفِئَ نُورَ حَقِّهِ بِسَفَهِهِ، مَنْ جَمَعَ لَكَ وُدَّهُ وَرَأْيَهُ فَاجْمَعْ لَهُ طَاعَتَكَ، مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَلَا تَأْمَنْ شَرَّه، الدُّنْيَا سُوقٌ رَبِحَ فِيهَا قَوْمٌ وَخَسِرَ آخَرُون»[1].

«المِرَاءُ يُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ وَيُحَلِّلُ الْعُقْدَةَ الْوَثِيقَةَ وَأَقَلُّ مَا فِيهِ أَنْ تَكُونَ فِيهِ الْمُغَالَبَةُ وَالْمُغَالَبَةُ أُسُّ أَسْبَابِ الْقَطِيعَة».

«الْعِتَابُ مِفْتَاحُ الثِّقَالِ وَالْعِتَابُ خَيْرٌ مِنَ الْحِقْد».

وقال لِرَجُلٍ ذَمَّ إِلَيْهِ وَلَداً لَه: «الْعُقُوقُ تُكْلُ مَنْ لَمْ يَثْكَل».

وقال: «السَّهَرُ أَلَذُّ لِلْمَنَامِ، وَالْجُوعُ يَزِيدُ فِي طِيبِ الطَّعَامِ. يُرِيدُ بِهِ الْحَثَّ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَار».

«اذْكُرْ مَصْرَعَكَ بَيْنَ يَدَيْ أَهْلِكَ وَلَا طَبِيبَ يَمْنَعُكَ وَلَا حَبِيبَ يَنْفَعُك».

«الْغَضَبُ عَلَى مَنْ تَمْلِكُ لُؤْمٌ».

(١) في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٤، ص ١٨٠.

«الْحِكْمَةُ لَا تَنْجَعُ فِي الطِّبَاعِ الْفَاسِدَةِ».

«خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ فَاعِلُهُ، وَأَجْمَلُ مِنَ الْجَمِيلِ قَائِلُهُ، وَأَرْجَحُ مِنَ الْعِلْمِ حَامِلُهُ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ جَالِبُهُ، وَأَهْوَلُ مِنَ الْهَوْلِ رَاكِبُهُ».

«إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ فَإِنَّهُ يَبِينُ فِيكَ وَلَا يَعْمَلُ فِي عَدُوِّكَ».

«إِذَا كَانَ زَمَانٌ الْعَدْلُ فِيهِ أَغْلَبُ مِنَ الْجَوْرِ فَحَرَامٌ أَنْ يَظُنَّ بِأَحَدٍ سُوءاً حَتَّى يَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ زَمَانٌ الْجَوْرُ أَغْلَبُ فِيهِ مِنَ الْعَدْلِ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ بِأَحَدٍ خَيْراً مَا لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مِنْهُ»[1].

(١) في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٤، ص ١٨١.

المحتويات

تمهيد ٧
الفصل الأول: مُنْعَطَفَاتُ الحَرَكَةِ الرِّسَالِيَّةِ ٩
الفصل الثَّاني: سِيرَةُ الإِمَامِ الهَادِي عليه السلام ٢٧
الفصل الثَّالث: كراماتُهُ وَمَكْرُمَاتُهُ ٤٣
الفصل الرابع: كَلِمَاتُهُ المُضِيْئَةُ ٥٩